أطفال داعش في المخيمات ومراكز التأهيل

(المخاطر، والإشكاليات، وسبل الاحتواء)

"يُنظر إليهم على أنهم "الدم الجديد" الذي سيغذي التنظيم، ويضمن بقائه وتمدده. لذا، يثير بقاء هؤلاء الأطفال في مثل هذه البيئة مخاوف جديّة من إعادة إحياء التنظيم"

مركز الفرات للدراسات

المقدمة

تمثل قضية الأطفال، الذين تم إجلاؤهم من مناطق سيطرة تنظيم داعش في سوريا، تحدياً كبيراً للمجتمع المحلي والدولي، حيث تتضمن الكثير من الإشكاليات الإنسانية والقانونية والأمنية والسياسية، بالإضافة إلى المخاطر التي يشكله بقائهم في المخيمات، في بيئة مهيأة لانتشار الفكر المتطرف والجرائم.

بالرغم من مرور أكثر من خمسة أعوام – تقريباً - على هزيمة داعش جغرافياً، لا زال مصير أكثر من ٣٢ ألف طفل مع أمهاتهم، والنساء في مخيمي الهول وروج ومراكز التأهيل مجهولاً، وسط تزايد مخاطرهم محلياً وإقليمياً من جهة، والخطر المحدق بالأطفال أنفسهم من جهة أخرى.

فيما تواصل الكثير من نساء داعش، وخاصة "المهاجرات"، العمل على استراتيجية تحويل مخيم الهول إلى دويلة لداعش، يواصلن فيه زيادة النسل، والتلقين العقائدي للأطفال، في مساعي إعادة إحياء التنظيم، عبر العديد من الوسائل، أخطرها إعداد جيل جديد من "جيش داعش المستقبلي".

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في الكشف عن أبعاد مخاطر ملف أطفال داعش، الذين يزداد أعدادهم وتطرفهم وسط مخيمات الاحتجاز، وضمن بيئة مهيأة لتلقينهم الفكر المتطرف، ليصبحوا فيما بعد قنابل موقوتة. والبحث عن أبرز إشكاليات وتعقيدات هذا الملف، ومدى استجابة المجتمع الدولي، لا سيما فيما يتعلق بإعادة العوائل والأطفال غير العراقيين والسوريين إلى بلدهم الأصلي. بالإضافة لتقييم مستوى مخاطر أطفال عوائل داعش السوريين والعراقيين على المنطقة، وسط قلة الاهتمام بإعادة تأهيلهم.

وعليه، يمكن إيجاز مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيسي التالي: "ما هي المخاطر والإشكاليات التي تثيرها قضية أطفال داعش في مخيمات ومراكز التأهيل في شمال شرق سوريا؟".

لتبحث الدراسة عبرها عن أبرز العوامل والأسباب التي فاقمت من هذه المشكلة، بالإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي العوامل والأسباب التي ساهمت في تفاقم خطورة أطفال داعش؟

- إلى أي حد تساهم طبيعة المخيمات في زيادة مخاطر هؤلاء الأطفال على المنطقة من جهة، وعلى هؤلاء الأطفال أنفسهم من جهة أخرى، بوصفهم ضحايا الإرهاب؟

- هل يحاول تنظيم داعش اتباع استراتيجية إعادة إحياء "الخلافة"، عن طريق تهيئة جيل جديد من الأطفال، الذين يزدادون في المخيمات؟

- هل تقتصر مهمة التحالف الدولي لمحاربة داعش على هزيمة التنظيم عسكرياً وجغرافياً فقط؟ أم أن عليه تحمل مسؤولياته في معالجة الآثار الناتجة عن تركة داعش، وعلى رأسها ملف آلاف الأطفال في المخيمات ومركز التأهيل والرعاية؟

- هل تقاعس الدول المعنيّة في تحمل مسؤولياتها بإعادة رعاياها من عوائل داعش أدى إلى تفاقم هذه المخاطر، وعقّد من حل قضيتهم؟

- ما هي الحلول القائمة لاحتواء مخاطر أطفال داعش؟ وهل هي كافية وناجعة، أم أن المخاطر ما زالت قائمة وتزداد تعقيداً يوماً بعد يوم؟

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة في تسليطها الضوء على العديد من النقاط المُظلِمة في ملف أطفال داعش، وتعقيداته، ودراسة المخاطر من كافة النواحي. إلى جانب الكشف عن أبرز إشكاليات هذا الملف من النواحي "الأمنية والاجتماعية والنفسية والقانونية" وغيرها، وتحليل أسباب تلك الإشكاليات وتداعياتها، في سبيل اقتراح بعض الحلول المناسبة لهذا الملف.

أهداف الدراسة

- البحث عن أبرز الإشكاليات في ملف أطفال داعش في مخيمي الهول وروج، ومراكز التأهيل في شمال شرق سوريا.

- تحديد المخاطر التي يمكن أن يشكّلها هؤلاء الأطفال على المجتمعات المحلية والدولية.

- تحديد أبرز المخاطر التي يهدد هؤلاء الأطفال بوصفهم ضحايا الحرب والإرهاب أيضاً.

- تحديد وطرح عدد من التوصيات والحلول الممكنة لحل ملف أطفال داعش.

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، الذي يهدف إلى استعراض أهم الوقائع والأحداث، وآخر الأرقام والإحصائيات لأطفال داعش في مخيمات اللجوء ومراكز الرعاية، وتحليلها لبيان مدى

مساهمتها في تفاقم مخاطر هؤلاء الأطفال، واستخلاص أهم الإشكاليات لملف أطفال داعش في شمال شرق سوريا، واستعراض وتحليل الحلول الوقتية لاحتواء مخاطر أطفال داعش، ومعرفة مدى مساهمتها في الحد أو التخفيف من هذه المخاطر.

مخطط الدراسة

استنادا لما تقدم، سيتم تناول هذه الدراسة في فصلين متتاليين، ندرس في الفصل الأول مخيمات "الاحتجاز" ومراكز الرعاية والإصلاح، وفي الفصل الثاني سوف نتطرق لأهم مخاطر وإشكاليات قضية أطفال داعش، وذلك وفق المخطط التالي:

الفصل الأول: أطفال داعش بين المخيمات ومراكز الرعاية والإصلاح

المبحث الأول: أطفال داعش في مخيمي الهول وروج وإشكالية التصنيف

أولاً: مخيم الهول: بين طابعه المدني وظاهرة عسكرته.

ثانياً: مخيم روج: إحدى السبل القائمة لتخفيف المخاطر.

ثالثاً: الطبيعة الاستثنائية لمخيمي الهول وروج.

المبحث الثاني: أطفال داعش في مراكز التأهيل والرعاية

أولاً: مركزا "هوري وأوركيش".

ثانياً: مركز هلات لتأهيل ورعاية الأطفال.

الفصل الثاني: مخاطر وإشكاليات قضية أطفال داعش

المبحث الأول: مخاطر أطفال داعش

أولاً- بطء إعادة الأطفال لبلدانهم.

ثانياً- زيادة الولادات.

ثالثاً- الاستغلال الجنسي للأطفال.

رابعاً- المخاطر النفسية.

خامساً- إهمال تأهيل الأطفال السوريين والعراقيين.

المبحث الثاني: إشكاليات قضية أطفال داعش

أولاً- فقدان الشعور بالانتماء إلى بلدانهم الأصلية.

ثانياً- الأطفال الأيتام.

ثالثاً- أطفال من جنسيات مختلفة لأم واحدة.

رابعاً- تقاعس الدول العربية في استعادة رعاياها.

خامساً- بقاء الأطفال مع أمهاتهم المتطرفات.

الخاتمة: النتائج والتوصيات

الفصل الأول

أطفال داعش بين المخيمات ومراكز الرعاية وإعادة التأهيل

رغم أن مخيم الهول أُنشئ بدايةً كمخيم للاجئين العراقيين والنازحين السوريين الهاربين من الحروب والمخاطر، إلا أنه كان لسقوط داعش في معقله الأخير في الباغوز، أثر بالغ في تضخم التعداد السكاني للمخيم، حيث تم نقل الآلاف من نساء وأطفال داعش إلى المخيم المكتظ أصلاً بنازحين سوريين ولاجئين عراقيين، فبات المخيم يضمّ - على حدٍ سواء - أفراداً هاربين من التنظيم وجرائمه، وعائلات داعش وأشخاص مرتبطين به.

وبهدف تخفيف الضغط عن مخيم الهول، نقلت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا قسماً من عوائل داعش وأطفالهم من الأجانب إلى مخيم روج في ريف ديرك، والذي يضم أيضاً عدة عوائل سورية نازحة وعراقية لاجئة.

فإذا كان القسم الخاص بالنازحين السوريين واللاجئين العراقيين يحتفظ بطابعه المدني والإنساني، باعتباره مخيماً للنازحين واللاجئين داخلياً، فما هو الوصف القانوني الذي يمكن إلحاقه بالقسم الخاص بعوائل تنظيم داعش؟ وهذه الطبيعة الاستثنائية لهذه المخيمات ألم تؤدي لزيادة مخاطر أطفال داعش؟

من جهة أخرى، في سبيل ضمان حماية للأطفال أنفسهم، وللحد من مخاطرهم، لجأت الإدارة الذاتية أيضاً إلى إنشاء مراكز لتأهيل ورعاية أطفال داعش كحلول وقتية، لحين إيجاد حلول جذرية لهذه المعضلة. ولكن هل يمكن لهذه المراكز استيعاب كافة أطفال داعش وتأهيلهم؟ وهل حققت برامجها التأهيلية الأهداف المرجوة؟

وبناءً على ما سبق، ندرس في المبحث الأول أوضاع أطفال داعش في مخيمات اللجوء والنزوح الداخلي. وفي المبحث الثاني نبحث في مدى مساهمة برامج التأهيل والإصلاح في مراكز الرعاية والتأهيل في التخفيف من مخاطر أطفال داعش.

المبحث الأول: أطفال داعش في مخيمي الهول وروج وإشكالية التصنيف

يتوزع أطفال داعش بين مخيمين أساسيين في شمال شرق سوريا، وهما "الهول وروج" وبإجراء مقارنة بسيطة من النواحي الإدارية والأمنية فيما بينهما، نلاحظ بأن ظروف الأطفال في مخيم روج أفضل عما هو عليه في مخيم الهول.

أولاً- مخيم الهول: بين طابعه المدني وظاهرة عسكرته

أُنشئ مخيم الهول في الأصل لإيواء اللاجئين العراقيين في أوائل عام ١٩٩١ خلال حرب الخليج الثانية، وأُعيد فتحه لاحقاً بعد تدفق المهاجرين العراقيين إلى سوريا عقب غزو العراق عام ٢٠٠٣، كواحد من ثلاثة مخيمات على الحدود السورية العراقية[١].

صورة جوية لمخيم الهول (الصورة في عام ٢٠٢١)

كان يقطنه حتى نهاية عام ٢٠١٨ حوالي ١٠ آلاف من النازحين السوريين واللاجئين العراقيين، إلا أنه وبعد هزيمة داعش جغرافياً في معقله الأخير، في بلدة الباغوز، تم نقل الآلاف من عوائل مقاتليه إلى هذا المخيم، الذي توسع بشكل كبير، وضمّ حينها حوالي ٧٤ ألف شخص.

بعد هذا التوسع جرى تقسيم المخيم إلى ٧ أقسام يسمى كل منها بـ "قطاع"، وبعد إخراج عدة دفعات من النازحين السوريين واللاجئين العراقيين منها خلال الأعوام الأخيرة، جرى إعادة تقسيم المخيم ليصبح ٦ قطاعات، من بينها قسم واحد خاص بنساء داعش "المهاجرات"، ويسمى "بالملحق"، وباقي الأقسام تضم السوريين والعراقيين[٢]، بينها عوائل مرتبطة بشكل أو بآخر بتنظيم داعش.

[١] تقرير لشبكة BBC العربية بعنوان "مخيم الهول: الملاذ الأخير لنساء وأطفال عناصر "تنظيم الدولة الإسلامية" https://www.bbc.com/arabic/middleeast-47319661 آخر زيارة بتاريخ ١٢ يونيو ٢٠٢٣.
[٢] تصريح خاص للرئيسة المشتركة لإدارة مخيم الهول جيهان حنّان لمركز الفرات للدراسات ٢٩ مارس/آذار ٢٠٢٣.

الرئيسة المشتركة لإدارة مخيم الهول جيهان حنّان

يعتبر هذا المخيم من أخطر المخيمات في العالم، لأن تعداده السكاني الحالي يتجاوز ٥١ ألف شخص، وترتفع فيه نسبة التطرف والجريمة، نتيجة تجمع أكثر النساء تطرفاً حول العالم في هذا المخيم، اللواتي حولن المخيم إلى نسخة مصغرة لـ "دولة داعش"، وبذلك يصبح مخيم الهول - في الواقع - معادلة أمنية معقدة للغاية، حيث يمكن اعتبار أن داعش أقامت فيها شكلاً من أشكال السيطرة الإيديولوجية والتنظيمية والاجتماعية على المقيمين فيه.

بالتالي، فإن هذا المخيم بات "دويلة إسلامية صغيرة تتبع نهج داعش"، فحين تدخله وتشاهد الآلاف من النساء اللواتي يرتدين الخمار الأسود، والأطفال ذوي الملامح وألوان البشرة المختلفة، المنحدرين من أكثر من ٦٠ جنسية حول العالم، ستشعر أنك ضمن دويلة مخيفة ومنعزلة عن العالم الخارجي، ولا يشبه مخيمات اللجوء والنزوح المتعارفة عليها، فالقاطنون فيه يحاولون فرض قوانينهم على الجميع، إما بالتلقين ونشر فكر داعش كما يفعلون مع الأطفال، أو بالقوة والترهيب والقتل مع البالغين[٣].

تنشأ المخيمات عادة لحماية النازحين واللاجئين من الحروب، وتتسم بطابعها المدني والإنساني وفقاً للقوانين والأعراف الدولية، إلا أن ما يمكن ملاحظته فيما يخص مخيم الهول أنه يتجه نحو "العسكرة"، ويجري استخدامه من قبل خلايا تنظيم داعش كبيئة مناسبة لديمومة "خلافته المزعومة"، وذلك عبر إنشاء الجيل الثاني من جيش "الخلافة".

[٣] المصدر السابق- ورصد فريق مركز الفرات للدراسات للمخيم خلال جولة ميدانية بتاريخ ٢٩ مارس ٢٠٢٣

عدة عوامل وأسباب تقف وراء عسكرة مخيم الهول واستخدامه من قبل داعش لتمرير استراتيجيته تلك، منها:

موقع مخيم الهول: يشكل وقوع المخيم في مناطق نائية غير خاضعة لسلطة القانون بشكل محكم، أحد أبرز تحديات أمن المخيمات. وهذا هو الحال في مخيم الهول، الذي يقع في منطقة صحراوية نائية، شهدت ظروفاً أمنية عصيبة في السنوات الماضية، ويغطي مساحة شاسعة أنشئت فيها مجموعات من الخيام مترامية الأطراف، تفصله مسافة قريبة عن الحدود العراقية التي لا تزال تتخبط في فوضى الاضطرابات الأمنية، التي خلفتها سيطرة تنظيم داعش على المنطقة لخمس سنوات. وكان لموقع المخيم الحساس والمخالف للمعايير الدولية أثراً كبيراً في عمليات تهريب السلاح لداخل المخيم، وعمليات تهريب الأشخاص منه.

حجم المخيم: تؤكد الدراسات وجود علاقة بين حجم المخيمات وتصميمها وظاهرة العسكرة، إذ تشير إلى أن المخيمات يجب ألا تحتوي على أكثر من ٢٠ ألف شخص كحد أقصى. لكن السلطات المشرفة على إدارة مخيم الهول لم تولي هذه الدراسات أية أهمية، فقد أظهرت أخر الإحصاءات أن المخيم يضم ٥١ ألف شخص[٤]، في حين أن طاقته الاستيعابية القصوى هي ٤٠ ألف شخص. يتوزع القاطنون بين ٥ قطاعات وملحق للأجانب من غير العراقيين، ويمثل هذا الملحق القسم الأشد خطورة في المخيم لصعوبة السيطرة عليه؛ بسبب الظروف الأمنية وأعمال العنف التي ينفذها قاطنوه، والتي تشكل تهديداً لسلامة العاملين في المجال الإنساني، وبالتالي افتقاره للرعاية والخدمات[٥].

التركيبة الديمغرافية للمخيم: بحسب آخر إحصائية (مارس/ آذار ٢٠٢٣) حصل عليها مركز الفرات للدراسات من إدارة المخيم، فإن عدد قاطني المخيم كان على الشكل التالي:

العراقيين:	٦٨٩٨ عائلة	٢٥٣٤٨ شخص	بينهم ١٥٢٢٦ طفل
السوريين:	٥٠١٥ عائلة	١٨٢٠٤ شخص	بينهم ١١٨٠٨ طفل
عوائل داعش الأجانب في قسم "المهاجرات":	٢٢٥٤ عائلة	٧٦٥٢ شخص	بينهم ٥٢٨٠ طفل

[٤] حسب تقارير الأوتشا (OCHA) وصل عدد السكان في نيسان ٢٠١٩ إلى ٧٣٣٩٣ شخص. اوتشا، الجمهورية العربية السورية، الاستجابة الإنسانية في مخيم الهول، تقرير الحالة رقم ٣، أيار ٢٠١٩ صفحة ١.

[٥] مجموعات الأزمات الدولية، النساء والأطفال أولاً: إخراج الأجانب المرتبطين بتنظيم الدولة الإسلامية من سوريا، تقرير الشرق الأوسط رقم ٢٠٨، ١٨ تشرين الثاني ٢٠١٩، صفحة ٣.

وبموجب هذه الإحصائية يتبين أن مجموع المقيمين في المخيم يبلغ ٥١٢٠٤ شخص، موزعين على ١٤١٦٧ عائلة، من بينهم ٣٢٣١٤ طفل ممن يتراوح أعمارهم ما بين عام واحد حتى ١٧ عام. أي أن أكثر من٦٥٪ من قاطني المخيم هم من الأطفال، وهم في تزايد مستمر؛ فبحسب بيانات الولادة التي زودتنا بها إدارة مخيم الهول، يبلغ الحد الوسطي للولادات الجديدة في مخيم الهول ضمن أقسام السوريين والعراقيين ٦٠ طفل شهرياً، ماعدا الأطفال الذين يولدون بشكل طبيعي دون أن يتم تسجيلهم من قبل ذويهم لدى إدارة المخيم.

إذاً يشكل الأطفال نسبة كبيرة من المجموع الكلي لسكان المخيم، وعدد منهم مشتبه بضلوعه بأعمال إرهابية أو دعمه أو تأييده لها، وهم من جنسيات مختلفة. إلى جانب ذلك، فإن نساء التنظيم وأبناؤهم لايزالون يعيشون نفس نمط الحياة السابق الذي كانوا يعيشونه في ظل "دولة الخلافة"، وما زال الأطفال يتلقون الأفكار الجهادية المتطرفة حتى باتت مشاهد العنف وجرائم القتل أموراً مستساغة بالنسبة لهم[٦]. فمن المعروف أن لتنظيم داعش توجهاً كبيراً لتجنيد الأطفال الذين كانوا يطلق عليهم لقب "أشبال الخلافة"، وينظر إليهم على أنهم "الدم الجديد" الذي سيغذي التنظيم، ويضمن بقائه وتمدده. لذا يثير بقاء هؤلاء الأطفال في مثل هذه البيئة مخاوف جديّة من إعادة إحياء التنظيم. ففي آب (أغسطس) ٢٠٢٢ أسفرت عملية تمشيط للمخيم أطلقتها قوى الأمن الداخلي بالتعاون مع قوات سوريا الديمقراطية عن تفكيك ٣٣ خيمة كانت تستخدم "كمراكز تلقين ومحاكم خارج نطاق القضاء" ضد قاطني المخيم، ممن يرفضون التمسك بمبادئ داعش[٧].

نتيجة للمشاكل التي يثرها مخيم الهول، خاصة من النواحي الأمنية والإدارية، وتخفيفاً للضغط عليه، قامت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا بنقل قسم من عوائل داعش الأجانب إلى مخيم روج.

ثانياً- مخيم روج: إحدى السبل القائمة لتخفيف المخاطر

افتُتِح "مخيم روج" من قِبل الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، بتاريخ ٢٤-٦-٢٠١٥، بريف مدينة ديرك، لاستقبال اللاجئين العراقيين ونازحي مدينة الحسكة وريفها، خلال فترة اشتداد

---

[٦] وسط مطالبات بإعادة عوائل أعضاء تنظيم داعش الألمان إلى بلدهم، صرّحت الحكومة الألمانية بأن مخيم الهول في شمال سوريا تحول إلى مدرسة إرهابية خطيرة لداعش، مضيفة أن نساء التنظيم يحضرن الأطفال ليصبحوا "الجيل القادم" لداعش. كما أشارت إلى ارتفاع مستوى التطرف بين الأطفال والمراهقين، وازدياد أعمال العنف الفعلي واللفظي، منوهة إلى أن المستوى القيادي لداعش ينظر على ما يبدو إلى الأطفال والمراهقين في مخيمات اللاجئين والسجون على أنهم "الجيل القادم" للتنظيم. موقع DW الإخبارية، الحكومة الألمانية: مخيم الهول بسوريا "مدرسة إرهاب خطيرة"، https://cutt.us/WGQRf

[٧] مقتبس من بيان منشور في الموقع الرسمي لقوات سوريا الديمقراطية بتاريخ ٢٧ أغسطس ٢٠٢٢ https://sdf-press.com/?p=38176

هجمات داعش وسيطرتها على مساحات واسعة من العراق وسوريا. وبعد انحسار داعش عاد السوريون إلى الحسكة، وغالبية العراقيين إلى العراق، وبعضهم نقل إلى الهول، ليتحول هذا المخيم في أواخر عام ٢٠١٧ إلى مخيم لاستقبال عوائل تنظيم داعش الأجانب حصراً، مع استثناء إبقاء عدة عوائل عراقية وسورية فيها[٨].

صورة من داخل مخيم روج بريف ديرك

ومن أحد أسباب افتتاح هذا المخيم "تخفيف الضغط على مخيم الهول الذي يضم أعداد كبيرة من عوائل داعش إلى جانب اللاجئين والنازحين الموجودين فيه، وازدياد التطرف وارتكاب الجرائم ومحاولات الهروب وخاصة من قسم "المهاجرات"[٩].

وبحسب البيانات والإحصائيات الأخيرة في مخيم روج والتي زودتنا بها، الرئاسة المشتركة لإدارة المخيم، فإنه يضم المخيم ٧٠٧ عائلة أجنبية ينحدرون من ٦٠ جنسية، مؤلفة من ٢٦٠٢ فرد، من بينهم ١٥٣٠ طفل. بالإضافة إلى وجود ١١ عائلة سورية نازحة و٦٩ عائلة عراقية لاجئة.

النظام في المخيم

يخضع هذا المخيم لنظام يختلف كثيراً عن "مخيم الهول" وباقي المخيمات في شمال وشرق سوريا، حيث تم تخصيص مخيم روج لعائلات داعش الأجانب "من النساء المهاجرات

[٨] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل حكمية إبراهيم الرئيسة المشتركة لمخيم روج بتاريخ ٢٠ أبريل ٢٠٢٣
[٩] مكرر.

وأطفالهن". ومن أحد أهم الشروط الأساسية المفروضة فيها "ممنوع ارتداء اللباس ذات اللون الأسود" فيما لا يُمنع فيه ارتداء النقاب الكامل شرط ألا يكون باللون الأسود[١٠].

والهدف من هذه الشروط، التي تفرض على من يرغبن الخروج من مخيم الهول والانتقال إلى مخيم روج، "تأهيل تلك النساء وأطفالهن ونزع الأفكار المتطرفة منهن" بحسب ما وصفته الرئيسة المشتركة لإدارة المخيم[١١].

خدمات أكثر وقيود أقل

مقابل فرض بعض الشروط عليهن، تمنح إدارة "مخيم روج" خدمات أكثر لقاطنات هذا المخيم. فمن الناحية الخدمية، "فإن الخيم في مخيم روج ليست منصوبة على الأرض مباشرة كما هو الحال في مخيم الهول، بل مبنية على قاعدة إسمنتية، وبنيت حولها جدران بارتفاع متر لسهولة التنظيف والحركة وحمايتهم من الظروف الجوية وتسربات المياه، بالإضافة إلى توفير الكهرباء لكافة الخيم، ومنح كل عائلة تلفزيون، والسماح لهم باقتناء ما يشاؤون من الأدوات الكهربائية، وتوزيع كافة أدوات المطبخ على كل عائلة تقطن المخيم"[١٢].

مكتب للحوالات المالية

يضم سوق المخيم مكتباً خاصاً بالحوالات المالية، يخضع لرقابة مشددة من إدارة المخيم بالتنسيق مع أجهزة الأمن وغرفة عمليات التحالف الدولي[١٣]؛ إذ تفرض إجراءات معقدة، ويُسمح للعائلة التي لا يزيد عدد أفرادها على ٣ أشخاص بتسلم مبلغ ٣٠٠ دولار أميركي شهرياً. أما العائلات التي يزيد عدد أفرادها على ٣ أشخاص فيسمح لها بتسلم ٥٠٠ دولار شهرياً. وهذه القيود لمنع تجميع الأموال واستخدامها في عمليات التهريب[١٤]. ويبدو أن مثل هذه المبالغ يمكن اعتبارها كبيرة مقارنة مع مستوى المعيشة في شمال وشرق سوريا، وخاصة أن عوائل داعش تحصل بشكل دوري على سلّات غذائية والرعاية الصحية من قبل المنظمات الدولية العاملة في مخيمي الهول وروج.

---

[١٠] مكرر.
[١١] تصريح خاص لمركز الفرات من قبل إدارة مخيم روج بتاريخ ٢٠ إبريل ٢٠٢٣
[١٢] جولة ميدانية لفريق مركز الفرات للدراسات في مخيم روج بتاريخ ٢٠ إبريل ٢٠٢٣
[١٣] تقرير لجريدة الشرق الأوسط تحت عنوان " «نساء داعش» في مخيم روج تحت رقابة صارمة... وينتظرن العودة إلى بلادهن" https://aawsat.com/home/article/3145266/ آخر زيارة ١٣ يونيو ٢٠٢٣
[١٤] مصدر خاص من إدارة مخيم الهول بتاريخ ٢٠ إبريل ٢٠٢٣

نساء داعش في مخيم روج يقفن أمام مركز لاستلام الحوالات المالية

هذا ويسمح للنساء استلام المبالغ المالية التي يرسلها لهن ذووهن، أما من ليس لديها من يرسل لها الأموال فإن إدارة المخيم، وبدعم من بعض المنظمات تؤمن لهن أهم احتياجاتهن. بالإضافة إلى افتتاح سوق صغير في المخيم لشراء احتياجاتهن[١٥].

لا شك أن نقل أعداد من عوائل داعش إلى مخيم روج خفف بعض الضغط عن مخيم الهول من النواحي الأمنية والإدارية، وقلّص من مستوى الجريمة، وأصبح بالإمكان السيطرة الأمنية على عوائل داعش الأجانب، أي أن هذا المخيم يعتبر نموذجاً لحل مؤقت لتخفيف خطر عوائل داعش وأطفالهم، إلا أنه ما زال هناك ثغرات يمكن لتنظيم داعش وخلاياه استغلالها لتمرير استراتيجيته في تنشئة "جيش جديد من أطفال داعش". ومن هذه الثغرات على سبيل المثال سهولة الاحتكاك بين أطفال داعش وأطفال اللاجئين العراقيين والنازحين السوريين في المخيم، سواءً في المدارس أو الأسواق المشتركة في المخيم. أيضا سهولة التواصل مع العالم الخارجي عن طريق الهواتف الخليوية المتصلة بالإنترنت، والتي تم الاستلاء على عدد منهم خلال حملات التمشيط الأمنية داخل المخيمات، ناهيك عن حرية تصفح المواقع الإلكترونية والتواصل الاجتماعي. يذكر أن تنظيم داعش اعتمد بالأساس بشكل كبير على وسائل الاتصال الحديثة، وشبكة الانترنت التي ساعدتها على نشر أفكاره المتطرفة على أوسع نطاق.

بالإضافة إلى ما سبق، يشترك مخيم روج مع مخيم الهول في الطبيعة المختلطة بين عوائل داعش والنازحين السوريين واللاجئين العراقيين.

[١٥] تصريح للرئيسة المشتركة لمخيم روج، لمركز الفرات للدراسات ٢٠ إبريل ٢٠٢٣

ثالثاً- الطبيعة الاستثنائية لمخيمي الهول وروج

تبنى المخيمات عادة ليقطنها المدنيون النازحون داخلياً أو اللاجئون من الدول المجاورة، ممن يضطرون لترك ديارهم إما بسبب الحروب أو الكوارث، أو أي سبب آخر يهدد حياتهم بالخطر، وبالتالي يقع على البلد والحكومة المستضيفة للمخيمات وعلى المجتمع الدولي رعايتهم من مبدأ إنساني، وبموجب القوانين الدولية فيما يخص اللاجئين والنازحين. ولكن مخيمي الهول وروج يشكلان حالة فريدة من نوعهما في العالم، لأن قاطني هذين المخيمين هم من جهة لاجئين عراقيين ونازحين سوريين، تواجدوا في هذين المخيمين هرباً من جرائم تنظيم داعش وجماعات مسلحة أخرى، ومن جهة أخرى، يضم هذان المخيمان عائلات تنظيم داعش نفسه من نساء وأطفال. بمعنى تم الجمع بين الجلاد والضحية في نفس المكان.

والوضع القانوني لكل فئة يختلف عن الفئة الأخرى، مما يضفي على هذين المخيمين صبغة خاصة، ويجعل منه ذو طبيعة استثنائية يميزه عن غيره من المخيمات. فإذا كان القسم الخاص بالنازحين السوريين واللاجئين العراقيين يحتفظ بطابعه المدني والإنساني، باعتباره مخيماً للاجئين والنازحين داخلياً، لكن، وباعتبار أن تعريف النازح داخلياً[١٦] وتعريف اللاجئ[١٧] لا ينطبق على عائلات تنظيم داعش (من نساء وأطفال) المتواجدين في مخيمي الهول وروج، لا يمكن بأي شكل إلحاق هذا الوصف القانوني بالقسم الخاص بهؤلاء الأشخاص، إنما من الممكن اعتباره مجرد "مركز احتجاز مؤقت" لأنهم لم يلجؤوا إلى هذين المخيمين بإرادتهم بل رغماً عنهم إثر انهيار دولتهم المزعومة.

ومثل هذه الطبيعة الخاصة لمخيمي الهول وروج، وهذا الاختلاط بين نازح ولاجئ من جهة، وعائلات تنظيم داعش من جهة أخرى، أدى إلى نشوء الكثير من المشاكل الأمنية والإشكالات القانونية. فمنذ وصولهم إلى مخيم الهول خاصة، بدأ الأشخاص الذين تربطهم صلة وثيقة بالتنظيم بمضايقة المدنيين السوريين والعراقيين، واشتدت وتيرة أعمال العنف من قبل الأجانب الذين يكونون عادة أكثر تطرفاً من غيرهم وخاصة نساء داعش "المهاجرات". ومع ذلك يجري التعامل مع هذه المخيمات أيضاً على غرار مخيمات اللاجئين والنازحين العادية حول العالم،

---

[١٦] بحسب المبادئ التوجيهية المتعلقة بالنزوح الداخلي، والتي رسمت إطاراً للأسس التي تؤمن حماية النازحين وحقوقهم، عرفت النازحين على الشكل التالي:" الأشخاص أو مجموعات الأشخاص الذي أجبروا أو اضطروا للهرب أو ترك ديارهم أو أماكن إقامتهم المعتادة، وبخاصة كنتيجة لنزاع مسلح أو حالات عنف عام أو انتهاكات لحقوق الإنسان أو كوارث طبيعية أو من صنع الإنسان، ولتفادي آثار هذه الأوضاع ولكنهم لم يعبروا الحدود الدولية المعروفة للدولة".

[١٧] بحسب المادة الأولى من الاتفاقية الخاصة باللاجئين لعام ١٩٥١، اللاجئ هو:" كل شخص يوجد، بنتيجة أحداث وقعت قبل الأول من يناير ١٩٥١ وبسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد لأسباب ترجع لدينه أو جنسه أو عرقه أو انتمائه لعضوية فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية خارج بلد جنسيته، ولا يستطيع أو لا يريد بسبب ذلك الخوف أن يستظل بحماية دولته، أو كل شخص لا يتمتع بجنسية ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة السابق بسبب تلك الظروف ولا يستطيع أو لا يرغب بسبب هذا الخوف أن يعود إلى تلك الدولة".

وتُقدم لهم الرعاية والحماية من كافة الأطراف، سواءً من قبل الإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا أو منظمات المجتمع المدني، والمنظمات الدولية المختلفة، من منطلق إنساني. ويقدم لهم ما يتم تقديمه لمخيمات اللجوء والنزوح داخلياً، دون أن تجري حتى الآن أية مساع - لا محلية أو إقليمية أو دولية - لفتح تحقيق بحق النساء اللواتي انضممن إلى "خلافة داعش بإرادتهن، وتشبعن من فكره عن قناعة والتزام". والأخطر من ذلك، تشرف هؤلاء النساء المتطرفات على تلقين وإعداد جيل جديد متشبع من فكر داعش، وتهيئتهم ليشكلوا نواة لجيش داعش الجديد، انطلاقاً من المخيمات، أي أن النساء هن من استلمن مهمة الحفاظ على نسل داعش وإعداده بعد هزيمة التنظيم العسكرية والجغرافية.

وللحد من هذه المخاطر، أو على الأقل التخفيف منها، لجأت الإدارة الذاتية إلى إيجاد بعض الحلول الوقتية كإنشاء مراكز لتأهيل ورعاية أطفال داعش.

المبحث الثاني: أطفال داعش في مراكز التأهيل والرعاية

ترك تنظيم داعش الإرهابي خلفه ضحايا من نوع آخر، هم الأطفال الذين حاول التنظيم استغلالهم وتجنيدهم في خدمة أهدافه، مما أدى إلى بروز مشكلة أساسية وهي كيفية الحد من هذه الخطورة، وأيضا إشكالية إعادة دمج هؤلاء الأطفال في المجتمعات التي ينتمون إليها. حيث لا يستبعد ظهور جيل جديد من المتشدّدين بأفكار أكثر تطرفاً يسيرون على نهج آبائهم متشبعين بأفكار تبثها أمهاتهم بعقولهم، في حال لم يتم إعداد برامج لإعادة تأهيلهم. وخاصة بسبب بقاء هؤلاء الأطفال فترة طويلة من الزمن والعيش في كنف "دولة الخلافة"، التي نسجت لهم حلم بقاء واستمرارية دولة الخلافة المزعومة، ولقنتهم أفكاراً متطرفة تدفعهم إلى تكفير الآخر المختلف، والقيام بعمليات إرهابية لتحقيق هذا الحلم.

صورة لافتة على بوابة مركز هوري لتأهيل أطفال داعش بريف قامشلي

لذلك، أقامت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، مراكزاً لإعادة تأهيل أطفال داعش، حمايةً لهؤلاء الأطفال من الاستغلال والتطرف بداية، وإفشالاً لاستراتيجية داعش في إعداد جيش مستقبلي ثانياً. ففي هذه المراكز، تجري عملية إعادة تأهيل المئات من أطفال داعش، الذين كان يسميهم التنظيم بـ "أشبال الخلافة" والذين غالبيتهم من الأجانب بالإضافة إلى بعض الأطفال السوريين والعراقيين.

أولاً- مركزا "هوري وأوركيش"

تأسس "مركز هوري لحماية وتعليم الأطفال" في آذار/مارس ٢٠١٧، على أطراف بلدة "تل معروف" التابعة لمدينة قامشلي في شمال شرق سوريا، ويضم مبنى هذا المركز المؤلف من طابق واحد عشرات الغرف، بالإضافة إلى باحة واسعة. ويضم المركز حوالي ١٦٠ طفلاً من جنسيات مختلفة بينهم بعض الأطفال السوريين والعراقيين ممن كانوا ضمن ما يسمى "أشبال الخلافة".

صورة لباحة مركز هوري

أما مركز أوركيش الذي افتتح في سبتمبر/أيلول ٢٠٢٢ بريف مدينة قامشلي، يتألف من مبنى رئيسي من طابقين يضمان قاعات تدريس وغرف نوم وصالات ترفيه، وغرفة للإسعافات الأولية، وتجاور المبنى غرف للطعام وصالون للحلاقة. ويضم المركز ٨٧ طفلاً غالبيتهم من الأجانب ممن يتراوح أعمارهم بين ١٣-١٨ عاماً، فيما يمكن لهذا المركز استيعاب ١٥٠ طفلاً فقط.

مبنى مركز أوركيش لتأهيل أطفال داعش

وهذان المركزان مخصصان لإيواء وتأهيل أطفال داعش ممن شاركوا في ارتكاب جرائم وأعمال عنف ضمن التنظيم، ويتم إخضاعهم لبرنامج تأهيلي إصلاحي وفق خبرات محلية أمنتها الإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا.

يحوي المركزان أطفال من ٢٠ جنسية مختلفة "عربية، وأوروبية، وأمريكية، وأفريقية، وآسيوية" وغالبيتهم ممن خضعوا سابقاً لدورات عسكرية وشرعية لدى تنظيم داعش، أو ما كان يطلق عليهم التنظيم اسم "أشبال الخلافة" وبعضهم كان قد ظهر في مشاهد عنف مصورة في المواد المرئية الدعائية لداعش، وهؤلاء إما تم اعتقالهم خلال المعارك أو أثناء محاولتهم الهروب مع عوائلهم من سوريا، وخاصة خلال فترات الهجمات التركية على شمال شرق سوريا[١٨].

وكما تم نقل بعضهم، ممن بلغوا الثانية عشر من عمرهم، من مخيمي الهول وروج إلى هذين المركزين، درءاً لاستغلالهم جنسياً من قبل نساء داعش على وجه الخصوص.

البرنامج اليومي

وفقاً للبرنامج اليومي في المركزين، يستيقظ الأطفال في الساعة السادسة صباحاً، ويمارسون الرياضة ثم يتناولون الفطور الساعة السابعة، بعدها تبدأ الدروس التأهيلية، يلقيها مختصون في مجال الإرشاد النفسي. ويخضع الأطفال لدورات تثقيفية ضمن جلسات جماعية وفردية، تستخدم فيها تقنية "التفريغ الانفعالي" عبر تطبيق تجارب نفسية تؤدي إلى اكتشاف الذات[١٩]. والهدف من ذلك هو تأهيل الأطفال وجعلهم قادرين على عيش حياة الطفولة الطبيعية بعيداً عن السلاح والعنف والفكر المتطرف.

تستمر الحصص الدراسية التي تعتمد على الدمج بين مناهج اليونيسيف والإدارة الذاتية، حيث يتلقى أطفال داعش في المركزين دروساً لمواد تعليمية متعددة في الأخلاق والأدب والعلوم والتاريخ والجغرافيا. أي أنهم يتلقون تعليماً مدرسياً كاملاً ويصنفون في فئات بحسب مستوياتهم ما بين الضعيف والوسط والجيد، إضافة إلى آخرين لم يتلقوا التعليم أبداً فيخضعون إلى دروس محو الأمية[٢٠].

[١٨] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل الرئيس المشترك لمكتب شؤون العدل والإصلاح خالد رمو بتاريخ ٥ إبريل ٢٠٢٣

[١٩] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل الإداريين في مركز أوركيش بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٣

[٢٠] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل الإداريين في مركز أوركيش بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٣

أطفال داعش في مركز أوركيش للتأهيل يلعبون "بيبي فوت"

بالإضافة إلى تعليمهم اللغتين العربية والإنكليزية. وتستمر الدروس حتى الواحدة والنصف من بعد الظهر، ثم يأتي موعد تناول الغداء، ومن ثم يتفرغون لممارسة أنشطتهم في قاعات مجهزة بشاشات تلفزة ومكتبة صغيرة وألعاب البلياردو وطاولات "بيبي فوت"، وألعاب الشطرنج وغيرها، إضافة إلى ممارسة كرة القدم والطائرة. كما تقام لهم نشاطات تعليم الحِرف اليدوية والرسم والموسيقا[٢١].

النظام في المركزين

يؤدي مركز هوري مهمة رئيسية في إصلاح أطفال داعش الذين انخرطوا في أعمال قتالية أو إرهابية أو خضعوا لدورات "شرعية" من قبل تنظيم داعش. أما مركز أوركيش فيستقبل في الغالب أطفال داعش ممن تم إخراجهم مؤخراً من مخيمي الهول وروج بعد بلوغهم لسن معين.

حيث نظمت إدارة المركز الأطفال إلى أعضاء في مجموعات صغيرة منظمة، عبر تشكيل مجالس خاصة بهم وتوزيعهم الأدوار عليهم تتعلق بالنظافة والخدمات داخل المركز، إضافة إلى إعدادهم بأنفسهم للطعام في المطبخ.

[٢١] مشاهدات فريق مركز الفرات للدراسات خلال جولة ميدانية لمركز أوركيش بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٣

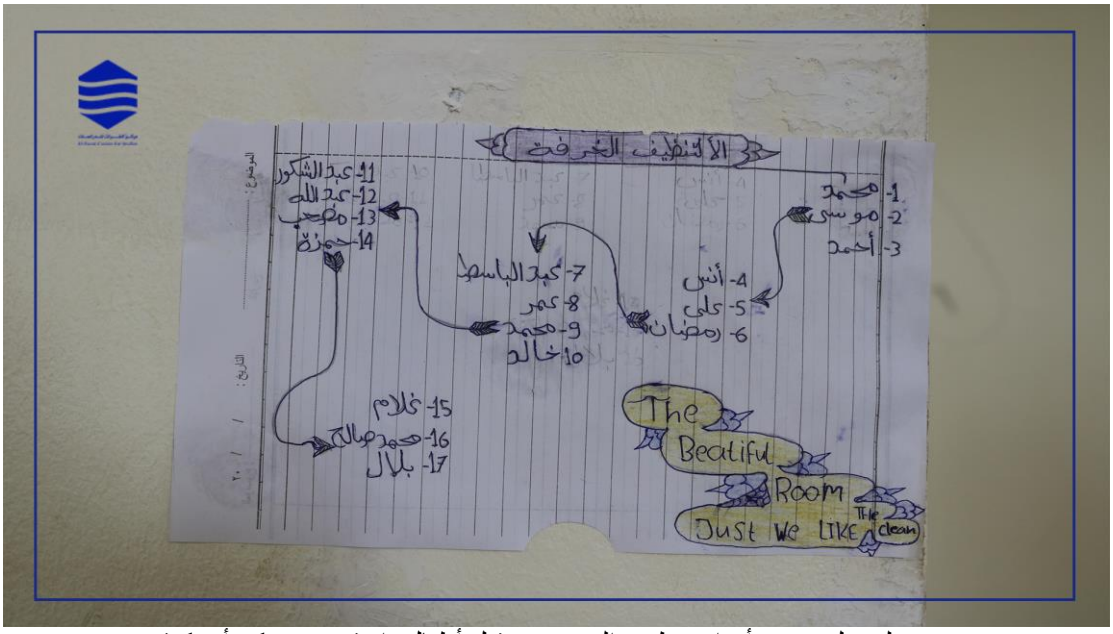

صورة لجدول توزيع أدوار تنظيف الغرف من قبل أطفال داعش في مركز أوركيش

التواصل مع العالم الخارجي

في وقت لا يستخدم الأطفال في المركزين الهواتف الجوالة والإنترنت، إلا أنه يؤمن لهم خدمة التواصل مع ذويهم سواءً في مخيم الهول أو روج، مرة كل أسبوعين عبر اتصال هاتفي، أو عبر البريد الذي يصل إليهم من قبل منظمة الصليب الأحمر الدولي. بالإضافة إلى السماح بزيارة الأمهات لأبنائهم في المراكز كل فترة معينة، والتي تحدد بالتنسيق ما بين إدارة المراكز والمخيمات، بحسب ما أكده الإداريون في المركزين، منوهين "أن مركزهم ليس سجناً" وبأن الأطفال يقضون معظم وقتهم خارج الغرف وفي الباحة وبتلقي الدروس.

مدى استجابة الأطفال للتأهيل؟

تقول المشرفات على برنامج التأهيل في المركزين، أنه يمكن تقسيم الأطفال من حيث الاستجابة إلى قسمين: القسم الأول تفاعل بسرعة وتغيرت سلوكياته وأفكاره، حيث يعمل المركز على تغيير أفكار الأطفال، وتعليمهم مناهضة التطرّف، وحبّ العائلة والناس، وبأن الأطفال كانوا في البداية يتحاشون التعامل مع مدرسيهم، لاسيما المدرسات النساء، وكانوا يتحاشون إلقاء التحية عليهن، ولكن فيما بعد تغير سلوكهم نحو الطبيعي، وراحوا يتفاعلون مع المدرسين والمربين وزملائهم[٢٢].

أما القسم الثاني، فيتظاهرون بالتغيير، وحسب المشرفات في المركزين "فإن بعضهم يتظاهر بتغيّر سلوكه ونحن نعلم ذلك من خلال مشرفين نفسيين يلتقونهم أسبوعياً، حيث يمكن ملاحظة

[٢٢] تصريحات خاصة لمركز الفرات للدراسات من قبل مشرفات على برامج التأهيل في مراكز التأهيل ٢٥ مايو ٢٠٢٣.

أنهم لازالوا متمسكين بفكر التنظيم بشكل مبطن". وأكدن بأنه من خلال دراسة الأوضاع الاجتماعية والعائلية والاقتصادية التي كان يعيش فيها هؤلاء الأطفال "تبين أن الغالبية كانوا يعانون من الفقر وقلة التعليم، وأن أيديولوجيتهم ليست عميقة، ومن الممكن إصلاحها"[٢٣].

وفي رد على سؤال حول ما إذا كانوا يعتبرون المركز وصل إلى تحقيق أهدافه التأهيلية، أجاب الإداريون: "من المبكر الحديث عن نجاح المركز، إلا إننا نرى نتائج إيجابية، فلم نواجه أي مشاكل معهم، وهم فعلاً يتغيرون، كثيرون منهم باتوا يبادرون من تلقاء أنفسهم للحديث معنا، وهذا دليل على بدء التخلص من الفكر المتطرف المنغلق، والبعض بات يستمع للموسيقا، في حين كانوا يعتبرونها سابقاً من المحرمات"[٢٤].

مصير الأطفال بعد إتمام سن الـ ١٨؟

بحسب إدارة المراكز التأهيلية، أنه بعد إتمام فترة تأهيل الأطفال في المراكز، وبعد أن يبلغ الأطفال عمر الـ ١٨ عام، يتم إعادتهم إلى ذويهم في حال كانوا من السوريين أو العراقيين، وذلك بعد عرضهم على محاكم الإدارة الذاتية الخاصة بالأحداث، فيما تملك إدارة المراكز صلاحيات في إقرار مدة تأهيل وتخريج الأطفال السوريين، وإعادتهم إلى أسرهم بموجب تقرير يقدم إلى الإدارة الذاتية.

أما بالنسبة للأطفال الأجانب، يجري التنسيق بين الإدارة الذاتية وبلدانهم، وفي حال قبلت دولهم استلامهم يتم تسليمهم لممثليهم، وفي حال رفضوا يتم إيداع من يتعدى الـ ١٨ عام في مراكز احتجاز خاصة بهم لحين إيجاد حل لأوضاعهم[٢٥].

ثانياً- مركز هلات لتأهيل ورعاية الأطفال

افتتح هذا المركز بشكل رسمي بتاريخ ٢٥ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢١ في مدينة الحسكة، بناء على مقترح ومشروع قدمته وحدات حماية المرأة (YPJ)، وبالتعاون مع التحالف الدولي لمحاربة تنظيم "داعش"، وتشرف عليه هيئة المرأة في شمال شرق سوريا. ويضم المركز خمس غرف مسبقة الصنع تستخدم كصفوف للتعليم ولعب الأطفال، يتوسطها باحة واسعة للعب[٢٦].

---

[٢٣] مكرر.

[٢٤] مكرر.

[٢٥] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل الرئيس المشترك لمكتب شؤون العدل والإصلاح خالد رمو بتاريخ ٥ إبريل ٢٠٢٣.

[٢٦] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل إدارية في مركز هلات بتاريخ ٢٥ مايو ٢٠٢٣.

لافتة لمركز هلات لتأهيل ورعاية الأطفال في الحسكة

هذا المركز له خصوصية وشروط تختلف كثيراً عن مركزي هوري وأوركيش، فهو يستقبل الأطفال ما بين أعمار ٣ - ١٣ عام، ممن ارتكبت أمهاتهم جرائم، وحكم عليهن بالسجن لفترات زمنية مختلفة، لذا فإن الهدف من افتتاح هذا المركز هو إيواء هؤلاء الأطفال وتأهيلهم حتى لا يبقوا في السجون مع أمهاتهم طيلة فترة الحكم. وعليه يستقبل المركز الأطفال يومياً من الساعة ٨ صباحاً حتى الساعة الثانية بعد الظهر، ثم يعودون إلى مراكز الاحتجاز، حيث تتواجد أمهاتهم. وذلك تطبيقاً للبند التاسع من اتفاقية جنيف لحقوق الطفل، الذي يمنع فصل الأطفال عن أسرهم، وبالتالي فإن المركز يقدم الرعاية لهؤلاء الأطفال طيلة فترة قضاء الأمهات حكمهن في مراكز الاعتقال، باعتبارهن غير قادرات على تقديم الرعاية الكافية للأطفال في السجون، فيتكفل المركز بهذه المهمة[٢٧]. وهذا ما يسمى بـ "الرعاية البديلة" التي نص عليها القانون رقم ٧ لعام ٢٠٢٢ الصادر عن المجلس العام في الادارة الذاتية لشمال وشرق سوريا. حيث جاء في المادة ٣١ من هذا القانون ما يلي: "يهدف نظام الرعاية البديلة إلى توفير الرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية والمهنية للأطفال الذين حالت ظروف دون أن ينشؤوا في أسرهم الطبيعية. وذلك بهدف تربيتهم تربية سليمة وتعويضهم عما فقدوه من عطف وحنان..."[٢٨].

وجرى تقسيم الأطفال على ٣ فئات بحسب الأعمار:

[٢٧] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل إدارية في مركز هلات بتاريخ ٢٥ مايو ٢٠٢٣.
[٢٨] وأيضا القانون السوري يكرس مبدأ الرعاية البديلة للأطفال مجهولي النسب وذلك بحسب المرسوم التشريعي المتعلق بتنظيم شؤون الطفل منسوب النسب ورعايته. http://www.pministry.gov.sy/contents/24336/.

- الفئة الأولى من ٣ حتى ٦ أعوام.
- الفئة الثانية من ٧ حتى ٩ أعوام.
- الفئة الثالثة من ١٠ حتى ١٣ عام.

وبحسب برنامج المركز الذي وضع بالتشارك ما بين هيئة المرأة ومنظمة إنقاذ الطفل (save the children)، يتلقى الأطفال دروس تعليمية، كاللغة العربية والإنكليزية والرياضيات والعلوم، بالإضافة إلى أنشطة ترفيهية داخلية كالرسم والموسيقا، وخارجية كالألعاب المختلفة. بالإضافة إلى تقديم المركز الرعاية الصحية والغذائية للأطفال، فيما تقدم "منظمة إنقاذ الطفل" غالبية المواد اللوجستية.

رسوم أطفال داعش (الإناث) في مركز هلات حيث يمتنعون عن رسم ملامح الوجه بدعوة أنه "حرام"

وحين تنقضي العقوبة المحكوم بها الأمهات، يعود الأطفال مع أمهاتهم إلى المخيمات، وبالتالي فإن فترة بقاء الطفل في المركز محددة بفترة قضاء الأم لحكمها في السجن. وعدد الأطفال يتفاوت في المركز ما بين ٥٠ حتى ١٠٠ طفل، ويزداد وينقص بموجب دخول أو خروج نساء داعش من وإلى السجون[٢٩].

رغم إن الخطوة التي قامت بها الإدارة الذاتية، لاحتواء مخاطر أطفال داعش، بافتتاح مراكز التأهيل والإصلاح، بالجهود المحلية والذاتية، تعتبر إيجابية، وساهمت إلى حد ما في التخفيف من هذه المخاطر، سواءً من ناحية إبعادهم عن الفكر المتطرف، أو منعاً لاستغلالهم من قِبل تنظيم

[٢٩] مكرر

داعش الإرهابي وخلاياه في مخيمات اللجوء والنزوح داخلياً، إلا أن هذه الجهود غير كافية لعدة أسباب، أهمها:

- العدد الهائل للأطفال البالغ (٣٤٠٩١) من الذكور والإناث في مخيمي الهول وروج، وعدم قدرة هذه المراكز القائمة على استيعابهم.
- قلة الخبرات المحلية في إعداد البرامج التأهيلية والإصلاحية.
- ضعف الإمكانات المادية للإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا، حيث إن إنشاء مراكز وإعداد برامج لتأهيل هذا العدد الهائل من الأطفال يحتاج إلى تظافر جهود جهات عديدة، محلية ودولية.

الفصل الثاني

مخاطر وإشكاليات أطفال داعش

بعد هزيمة داعش جغرافياً، ونقل الآلاف من عوائلهم إلى المخيمات، برزت العديد من المخاطر والإشكاليات فيما يخص هذه العوائل عامة والأطفال على وجه الخصوص. عوامل عديدة تقف وراء هذه المخاطر والإشكاليات، فالبعض منها يعود إلى تواجد هؤلاء الاطفال في بيئات غير مناسبة لتنشئتهم، وأخرى تعود إلى عدم تحمل المجتمع الدولي لمسؤولياته في إيجاد حل جذري لمعضلة "تركة تنظيم داعش". سوف نبحث هنا في أبرز هذه المخاطر والإشكاليات.

المبحث الأول: مخاطر أطفال داعش

احتجاز أطفال داعش في مخيمات اللجوء والنزوح داخلياً يزيد من مخاطر هؤلاء الأطفال، سواءً كانت هذه المخاطر تهدد الطفل نفسه، أو كانت تهدد المحيطين به، أو المجتمع برمته. كما إن إخضاع الأطفال لبرامج إعادة التأهيل والإصلاح في مراكز خاصة، لا يعني الحد من هذه المخاطر. نبحث في أهم هذه المخاطر التي يثيرها ملف أطفال داعش في شمال وشرق سوريا:

أولاً- بطء إعادة الأطفال لبلدانهم

وجهت الإدارة الذاتية نداءات متكررة إلى الدول المعنية، لإعادة رعاياها، من عوائل وأطفال داعش في المخيمات ومراكز التأهيل، وقد استجابت بعض الدول لهذه النداءات، واستلمت عدداً من رعاياها. ففي الفترة الممتدة ما بين عام ٢٠١٩ وحتى ٢٠٢٣[٣٠]، وبحسب البيانات التي حصل عليها مركز الفرات للدراسات من دائرة العلاقات الخارجية في الإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا، أن عدد الأطفال الأجانب الذين جرى تسليمهم إلى حكومات بلدانهم بشكل رسمي هو (١٣٠٠) طفل فقط. فيما لايزال أكثر من ٥٥٠٠ طفل أجنبي موجودين في المخيمات ومراكز التأهيل بانتظار إعادتهم لبلدانهم.

يتضح من هذه البيانات، أن عدد العائدين قليل جداً مقارنة بعدد الأطفال الأجانب المتواجدين في مخيمات شمال شرق سوريا ومراكز التأهيل. وإن استمرت عمليات التسليم والإعادة على هذه الوتيرة البطيئة (١٣٠٠ طفل خلال ٥ أعوام)، فإن الأمر يحتاج إلى أكثر من ١٥ عاماً لإعادة

[٣٠] آخر دفعة تم تسليمها إلى بلدانهم بتاريخ ٢٢ مايو ٢٠٢٣، حيث سلمت دائرة العلاقات الخارجية في الإدارة الذاتية ١٠٨ من عوائل تنظيم داعش بينهم ٨٠ طفل من إلى حكومة طاجكستان.

كافة الأطفال (البالغ عددهم ٥٥٠٠ طفل). وهذه تعتبر إشكالية كبيرة، باعتبار أن هؤلاء الأطفال الأجانب يكبرون، وبالتالي سوف يقضون كامل طفولتهم في المخيمات الموبوءة بالفكر المتطرف والاجرامي، مما يفاقم من مخاطرهم، ويزيد من مصاعب تأهيلهم وإدماجهم في مجتمعاتهم الأصلية.

والأخطر من ذلك، أنه بعد أن يتجاوز الآلاف من هؤلاء الأطفال الأجانب سن الـ ١٨، قد ترفض دولهم هذه المرة إعادتهم، باعتبارهم بالغين، أو قد يرفض البالغ نفسه العودة إلى دولته، باعتباره بكامل الأهلية والإرادة، خوفاً من المحاكمة والعقاب. وبالتالي قد ينتهي الأمر بهؤلاء الأطفال في مركز الاعتقال مثلهم مثل آبائهم، المقاتلين السابقين في تنظيم داعش. وفي هذه الحالة، قد تبرز الحاجة إلى إنشاء المزيد من مراكز اعتقال جديدة، الأمر الذي سوف يشكل تحدياً بالنسبة للإدارة الذاتية، وقوات سوريا الديمقراطية، التي تعاني أصلاً من معضلة تأمين معتقلات، تتوافق مع المعايير الدولية، لأكثر من ١٠ آلاف معتقل سابق من مقاتلي داعش.

وكما أن الجمع بين الأبناء والآباء في نفس المعتقلات قد يشكل فرصة مناسبة لتنظيم داعش للعمل على تجميع صفوفه، وبالتالي تهيئة جيل جديد في السجون، خاصة وسط محاولات جرت سابقاً لتهريب عناصر داعش من المعتقلات، وما يزيد من مخاوف هروب هذه العناصر هو استمرار التهديدات التركية لشمال وشرق سوريا، واستهدافاتها التي طالت مؤخراً محيط بعض المعتقلات ومخيمات عوائل داعش.

ثانياً- زيادة الولادات

يُظهر جدول بيانات الولادات الجديدة في قطاعات مخيم الهول، والتي حصل مركز الفرات للدراسات على نموذج منه، زيادة نسبة الولادات بشكل كبير. فبالنظر إلى إحصائية ولادات "القطاع الأول" الذي يضم السوريين والعراقيين، نجد بأن نسبة الولادات المسجلة لدى إدارة المخيم بلغ في عامي ٢٠٢١ و٢٠٢٢ ما بين ١١٠ حتى ١٣٠ ولادة في العام الواحد.

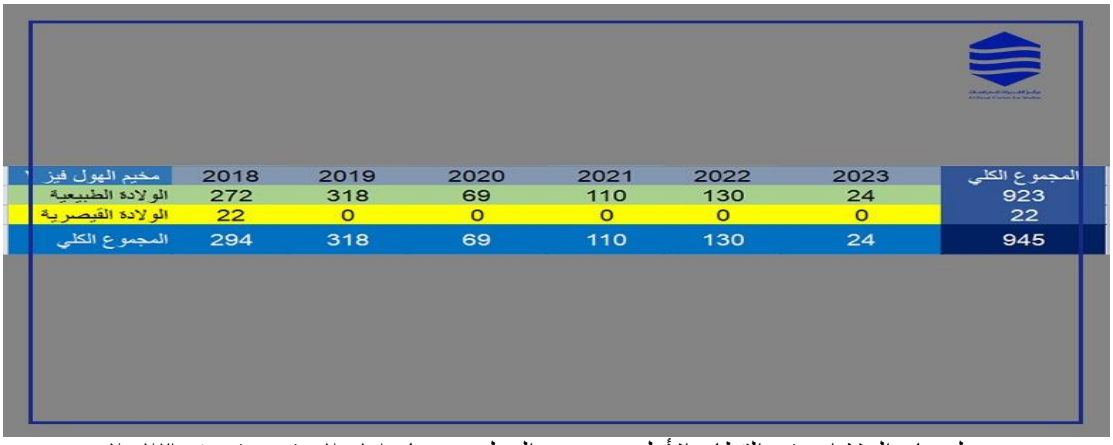

مخيم الهول فيز	2018	2019	2020	2021	2022	2023	المجموع الكلي
الولادة الطبيعية	272	318	69	110	130	24	923
الولادة القيصرية	22	0	0	0	0	0	22
المجموع الكلي	294	318	69	110	130	24	945

جدول بيان الولادات في القطاع الأول من مخيم الهول من عام ٢٠١٨ حتى منتصف ٢٠٢٣

وإذا قمنا بقياس هذه البيانات على ٤ قطاعات أخرى للسوريين والعراقيين، فسيكون نسبة الولادات في القطاعات الخمسة من مخيم الهول ما بين ٥٥٠ إلى ٦٥٠ ولادة جديدة في العام الواحد. يضاف إلى ذلك الولادات الطبيعية غير المسجلة لدى إدارة المخيم، والتي تحصل في نفس قطاعات النازحين السوريين واللاجئين العراقيين"[٣١] والولادات التي تحصل في قطاع "المهاجرات" وبسرية تامة.

بالتالي، فإن مخيم الهول بهذه الصورة يعتبر بيئة مناسبة لزيادة نسل داعش، وظهور أجيال جديدة، تفتح أعينها ضمن بيئة موبوءة بالجريمة والتطرف. وكلما طال أمد إيجاد حل لمخيم الهول، سيكبر فيه أجيال يشكلون خطراً ليس فقط على المجتمعات المحلية أنما العالم برمته، ومهيأة للانضمام إلى التنظيمات والجماعات الإرهابية أو العصابات الإجرامية.

ثالثاً- الاستغلال الجنسي للأطفال

تحدثت الكثير من التقارير الصحفية عن استغلال نساء داعش في قسم "المهاجرات" للأطفال البالغين (تتراوح أعمارهم ما بين ١٢ حتى ١٧ عام) جنسياً، وذلك بإجبار هؤلاء الأطفال الزواج بعدد من نساء داعش، بهدف الإنجاب، وزيادة نسل داعش "كجزء من استراتيجية التكاثر والاستمرار". بالرغم من إنكار نساء داعش اللواتي ألتقينا بهن في مخيم روج (ممن خرجن حديثا من مخيم الهول)، وجود أي حالات زواج أو ولادات جديدة في قسم "المهاجرات" في مخيم الهول[٣٢]، إلا أن أحد الإداريين في منظمة مختصة برعاية الطفولة، العاملة في مخيم الهول، أكد لمركز الفرات للدراسات "أنهم وأثناء عملهم خلال شهر آذار/مارس ٢٠٢٣ على تقديم الدعم

[٣١] تصريح لمركز الفرات للدراسات من قبل الرئيسة المشتركة لمخيم الهول جيهان حنّان ٢٩ مارس ٢٠٢٣.
[٣٢] لقاء مع اثنتين من نساء داعش في مخيم روج، الأولى روسية تدعى "ماريتا موسى" والثانية إيطالية من أصل تونسي تدعى "صونيا ألخديري" بتاريخ ٢٠ إبريل ٢٠٢٣

التوعوي وأنشطة التغذية للأمهات في مخيم الهول، شاهدوا رضيعا يبلغ من العمر حوالي ٦ أشهر في خيمة ضمن قسم المهاجرات!".

من جهة أخرى، أفاد إداريون في مركز أوركيش لتأهيل أطفال داعش[٣٣]: "أحد الأطفال، ويدعى "صالح" ذو جنسية سودانية، والذي نقل إلى المركز من مخيم الهول، أخبر أحد المشرفين في المركز أنه تم استغلاله من قبل نساء داعش لممارسة الجنس في قسم المهاجرات في مخيم الهول"[٣٤]. وهذا يعتبر انتهاكاً صارخاً لحقوق الطفل، بموجب المادة (٣٤) من اتفاقية جنيف لحقوق الطفل، حيث جاء فيها: "على الحكومات أن تحمي الأطفال من الاستغلال الجنسي والإساءات الجنسية".

رابعاً- المخاطر النفسية

باعتبار أن البيئة ومكان النشأة وظروف التربية تلعب كلها دوراً في تشكيل بنية الطفل وشخصيته، وطريقة ومستوى تفكيره وحالته النفسية والعاطفية، فإن قضاء أطفال داعش طفولتهم في المخيمات المغلقة، وضمن خيم صغيرة تفتقر لوسائل الراحة والرعاية والنظافة الكافية، وبعيدة عن الحياة المدنية الطبيعية ستؤثر بالتأكيد على نفسية الأطفال.

فبالإضافة إلى أن الطفولة المسروقة منهم ستشكل حالة نفسية تلازمهم طيلة حياتهم، فإن نقل هؤلاء الأطفال إلى مراكز الاحتجاز، وفصلهم عن عائلاتهم سيعمّق من التأثيرات النفسية عليهم. الأمر الذي قد يزيد من تطرفهم وعنفهم كردة فعل انتقامية اتجاه العالم الخارجي.

وكلما طال أمد إعادة هؤلاء الأطفال إلى أوطانهم، كلما ازدادت حالتهم النفسية سوءاً، ومواجهة مصاعب خلال تقديم الرعاية لهم، حول ذلك يقول "تيري بوبيت" (Thierry Baubet)، أستاذ الطب النفسي للأطفال في جامعة (باريس ١٣): "إن مسألة الصدمة والحرمان العاطفي ونقص الدعم للأطفال ليست بجديدة؛ وأن مدة العيش داخل بيئة غير منظمة وغياب الرعاية الكافية والدعم التنموي، يتناسبون عكسيًاً مع فرص تعافي هؤلاء الأطفال من خلال توفير الدعم وخلق البيئة المناسبة لهم"[٣٥].

فالبيئة التي ينشأ فيها الأطفال في مخيم الهول - رغم كبر حجمه الذي يعتبر أكبر من بعض مدن شمال شرق سوريا، إلا أنه مخيم مغلق وتحيط به الأسوار والحراسة، ويفتقر إلى الملاعب

[٣٣] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل إداريين في مركز أوركيش بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٣.
[٣٤] ولم نتمكن من اللقاء بالطفل (صالح) لأنه كان قد أعيد إلى بلده.
[٣٥] دراسة بعنوان "الرعاية النفسية لأطفال الجهاديين: الطرق والتحديات" المنشورة في موسوعة تنمية الطفولة المبكرة بتاريخ ١٦ فبراير ٢٠٢١.

الواسعة الخضراء ووسائل الدعم النفسي - تشكل الأرضية المناسبة لزيادة العنف والتطرف والجريمة لدى الأطفال"[٣٦].

والأمر لا يختلف كثيراً في مراكز التأهيل والإصلاح، صحيح أن هذه المراكز القليلة القائمة تقدم رعاية وخدمات أفضل للأطفال مما هو عليه الحال في المخيمات، إلا أنها تبقى بالنسبة لهم مكاناً مقيداً، ويشعرون فيه بالعزلة، في ظل مستقبل مجهول. وهذا كان واضحاً أثناء لقائنا في مركز أوركيش بالطفل "إ . ز" وهو فرنسي من أصل مغربي، ويبلغ من العمر ١٧ عاماً. حين سألنا هذا الطفل عن أوضاعه في المركز، وكيفية التعامل معهم، قال: "المركز مريح، والمشرفون معاملتهم جيدة معنا، ولكننا لا نريد البقاء هنا، فنحن معزولون عن العالم وعن أهلنا، ولا نعرف ما هو مصيرنا، وقد قضينا كل طفولتنا في المخيمات والمراكز، أشعر أنه لم يعد لحياتي معنى"[٣٧]. ما يقوله الطفل الفرنسي يؤكد بأنه حتى وإن قدمت لهم كافة سبل الراحة في المخيمات والمراكز، ومهما كانت الخدمات والمعاملة جيدة معهم، فإن كل ذلك لن يغير شعورهم بالإحباط نتيجة فقدانهم لطفولتهم من جهة، وعيشهم منفصلين عن أجواء العائلة من جهة أخرى. تأكيداً لذلك، فحين سألنا نفس الطفل، إن كان يشعر بالراحة أكثر في المركز أم في المخيم؟ قال: "أفضّل المخيم رغم كل ظروفه الصعبة لأنه على الأقل كنت مع أمي وأخوتي".

إذاً، بقاء الأطفال في مراكز التأهيل غير كافي لجعلهم أناساً سويين، وذلك لأن التواجد في مكان له شروط وقوانين وبعيداً عن العائلة، يولد مشاكل نفسية جديدة لدى الأطفال. فالطفل وإن استجاب لبرامج التأهيل في المركز، وتخلى عن الفكر المتطرف، وبدأ حلمه بالعيش في مجتمع طبيعي، إلا أنه يصطدم بواقعه الذي يمنعه من تحقيق هذا الحلم.

[٣٦] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل الرئيسة المشتركة لمخيم الهول جيهان حنّان ٢٩ مارس ٢٠٢٣.
[٣٧] خلال جولة ميدانية لفريق مركز الفرات للدراسات إلى مركز أوركيش للتأهيل بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٣.

صورة طفل فرنسي من أصل مغربي في مركز أوركيش

ويؤيد ما سبق ذكره هي تلك التجارب التي يجريها المختصون في مجال "الدعم النفسي والاجتماعي والتعليمي" على الأطفال في المراكز. على سبيل المثال في دروس الرسم[٣٨]، يطلبون من الأطفال التعبير عن أفكارهم وذكرياتهم بواسطة الرسم، فكانت النتيجة إن الأطفال، الذين تخلوا عن الأفكار المتطرفة، رسموا أشجاراً أو منازل أو ملاعب كرة قدم أو سيارات، أما الذين لا زالوا متأثرين بالفكر المتطرف فقد رسموا جوامع وأسلحة حربية[٣٩].

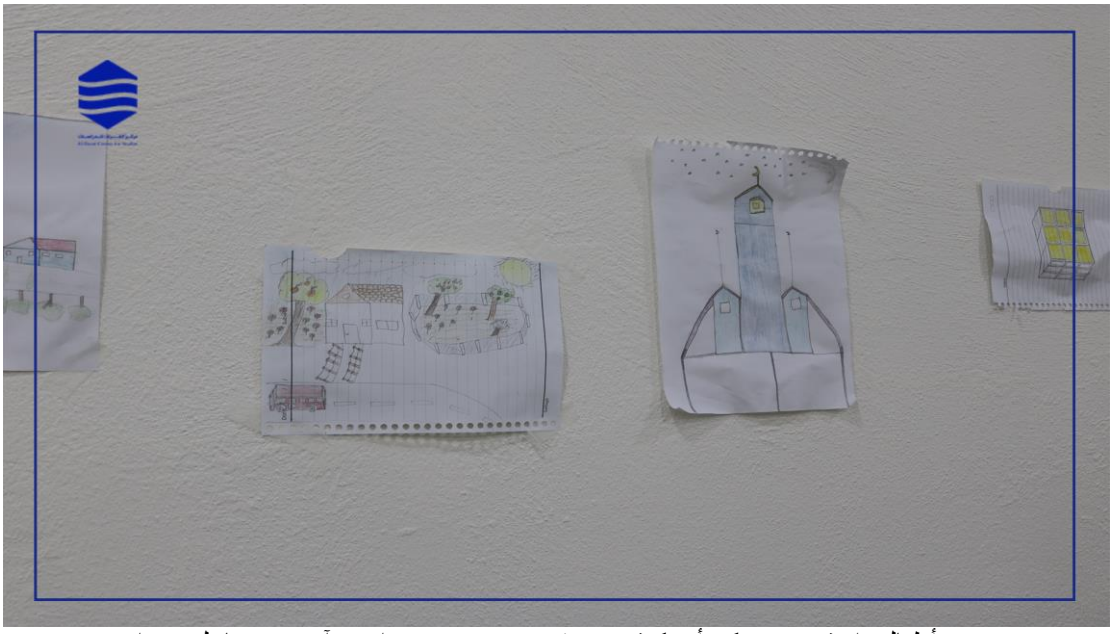

رسوم أطفال داعش في مركز أوركيش، حيث رسم بعضهم جوامع وآخرون منازل وحدائق

[٣٨] وقد علقت الكثير مما رسمه هؤلاء الأطفال على جدران قاعات التدريس في مركز أوركيش للتأهيل.
[٣٩] تصريحات خاصة من قبل المشرفين النفسيين في مراكز التأهيل لمركز الفرات للدراسات ١٠ مايو ٢٠٢٣.

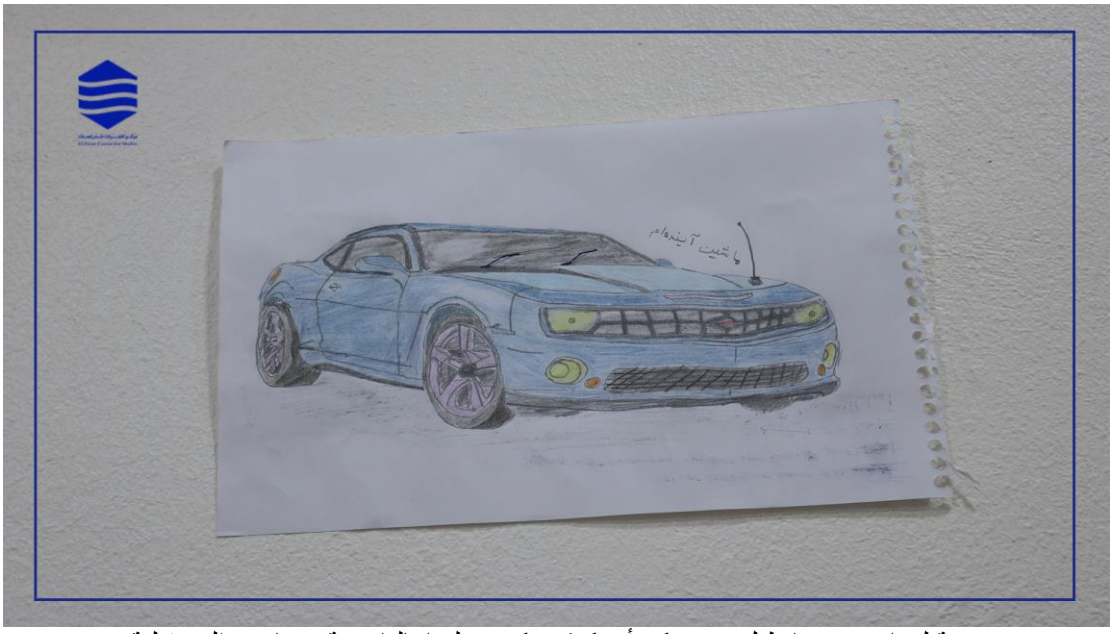

رسمة لسيارة رسمها طفل في مركز أوركيش وكتب عليها بالفارسية "سيارتي المستقبلية"

يطرح الطبيب النفسي والعصبي الفرنسي الشهير "بوريس سيرولنيك"، حلولاً لمعضلة بقاء الاطفال في المراكز بعيداً عن عائلاتهم وعزلتهم. حيث يطالب هذا الطبيب فرنسا وكافة الحكومات الغربية باستعادة الأطفال مع أمهاتهم؛ مفسراً ذلك بقوله: "بالنسبة لهؤلاء الأطفال، فإن والدتهم هي الأساس الوحيد للشعور بالأمن، وإعادتهم بمفردهم إلى الأراضي الفرنسية دون أمهاتهم هو بمثابة عدوان وعزلة إضافية، وربما يكرهون البلد الذي سبب لهم هذه المعاناة؛ ما يدفعهم إلى الخروج على القانون، ويجعلهم فريسة سهلة للأيديولوجيات المتطرفة، فنحن نُجازف بصنع قنابل موقوتة من هؤلاء الأطفال"[٤٠]. وأوضح "سيرولينك" أن استعادة الأمهات والأطفال معاً، يمكن أن يُطلق عند الأطفال عملية المرونة العصبية، التي يمكن للدماغ من خلالها التغلب على الصدمات. و"كلما أسرعنا، كان ذلك أسهل، فعدم تحفيز الدماغ يؤدي إلى تضخم المنطقة التي تولد الدوافع الغرائزية. وهو ما يُترجم عند الأطفال الصغار في صورة غضب، يتحول إلى فظاظة منتهياً إلى تكليف الدولة ثمناً باهظاً. وإذا انتظرنا وقتاً طويلاً، فستستغرق التغييرات وقتاً طويلاً، ولن يكون لدى الأطفال سوى العنف باعتباره سبيلهم الوحيد للتعبير"[٤١].

[٤٠] دراسة بعنوان "الرعاية النفسية لأطفال الجهاديين: الطرق والتحديات" المنشورة في موسوعة تنمية الطفولة المبكرة بتاريخ ١٦ فبراير ٢٠٢١.
[٤١] مكرر.

خامساً- إهمال تأهيل الأطفال السوريين والعراقيين

باعتبار أن أطفال داعش الأجانب يشكلون الخطر الأكبر، يتم إيلاء هذه الفئة الأولوية في برامج الرعاية والتأهيل سواء من قبل الإدارة الذاتية أو المنظمات الدولية، وفي المقابل يتم إهمال أو تجاهل تأهيل أكثر من ٢٧ ألف طفل سوري وعراقي موجودون في مخيم الهول لوحده.

ولكن، في حقيقة الأمر، يشكل هؤلاء الأطفال السوريين والعراقيين الخطر المستقبلي الأكبر على المنطقة برمتها، خاصة هم في تزايد مستمر نتيجة كثرة الولادات في قطاعات النازحين السوريين واللاجئين العراقيين.

تخدم مراكز التأهيل -عملياً- الدول الأجنبية بتأهيل أطفالهم للاندماج بسهولة ضمن مجمعاتهم الأصلية، وتوفّر عليها متاعب وتكاليف التأهيل. فيما الخطر الحقيقي على المنطقة وشعوبها يتمثل بشكل رئيسي في فئة الأطفال السوريين والعراقيين الذين ينشئون في بيئة التطرف والجريمة دون أن يخضعوا لأي برامج تأهيلية أو إصلاحية في المراكز، وأن كانوا يخضعون لبعض برامج الرعاية والتوعية من قبل منظمات محلية ودولية تعمل في المخيمات (الهول وروج)، ولكن يبدو أن هذه البرامج ضعيفة، وذلك بالنظر إلى نسبة الجرائم المرتكبة في مخيم الهول على وجه الخصوص.

حيث أن الكثير من الأطفال السوريين والعراقيين باتوا يشكلون مجموعات خطرة تمتهن السرقة والتخريب داخل المخيم، كتخريب كاميرات المراقبة، وألواح الطاقة الشمسية أو سرقتها. بالإضافة إلى الاعتداء على مكاتب ومستودعات المنظمات وسرقتها، ومهاجمة عناصر حماية المخيم بالحجارة، ما يشير إلى أنهم سيشكلون خطراً على المجتمع في حال خروجهم من المخيم والاختلاط مع المجتمعات المحلية[٤٢]. وفي هذا الإطار يحذر الدكتور (عاصم عبد المجيد حجازي)، مدرس علم النفس التربوي في كلية الدراسات العليا للتربية جامعة القاهرة، من أن "يصبح هؤلاء الأطفال قنابل موقوتة تهدد أمن المجتمعات والدول واستقرارها، بل ربما يصبح هؤلاء الأطفال عناصر فاعلة في التنظيمات الإرهابية في المستقبل القريب"[٤٣].

---

[٤٢] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات، من قبل مسؤول عن قسم مكافحة الجريمة في مخيم الهول وإقليم الجزيرة.

[٤٣] تقرير في موقع مرصد الأزهر لمكافحة التطرف بعنوان "أطفال داعش في ميزان الطب النفسي" آخر زيارة ٢٠ يونيو ٢٠٢٣ https://www.azhar.eg/observer/%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B5%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%B7%D8%B1%D9%81%D8%A9/ArtMID/14424/ArticleID/5921/5

ورغم وجود العديد من المدارس ومراكز التعليم في مخيم الهول، التي افتتحتها المنظمات الدولية والمحلية، إلا أنه من أصل ٣٢ ألف طفل المتواجدين في المخيم يرتاد حوالي ١٠ آلاف المدارس ومراكز التعليم الموجودة في المخيم والتي تشرف عليها المنظمات غير الحكومية والدولية، ما يعني أن غالبية الأطفال يكبرون في هذه المخيمات بدون تعليم، وهؤلاء أكثر عرضة للتطرف نتيجة خضوعهم لدورات شرعية، أو تلقينهم أفكار التطرف من قبل أمهاتهم والنساء المتشددات في المخيم[٤٤].

المبحث الثاني: إشكاليات قضية أطفال داعش

يثير قضية أطفال داعش في المخيمات ومراكز التأهيل في شمال وشرق سوريا العديد من الإشكاليات القانونية والاجتماعية والسياسية. وكلما تأخرنا في إيجاد حل جذري ومستدام لهذه القضية كلما ازدادت هذه الإشكاليات تعقيداً واستعصاءاً على الحل. هنا سوف نقوم بإيراد أهم هذه الإشكاليات:

أولاً- فقدان الشعور بالانتماء إلى بلدانهم الأصلية

إن بقاء أطفال داعش طيلة هذه الأعوام في المخيمات والمراكز، بعيداً عن بلدانهم الأصلية، وعدم عيش طفولتهم بمراحلها الطبيعية، يؤدي بطبيعة الحال إلى فقدانهم الشعور بالانتماء لبلدانهم. وبمرور الوقت، واستمرار دولهم في إهمالهم ضمن المخيمات والمراكز، سيُصعِب دمجهم في المجتمع حين إعادتهم، خاصة أنهم لم يكونوا قد شكلوا صداقات أو علاقات وليس لديهم ذكريات الطفولة في مجتمعاتهم، مما قد يولد لديهم العداء لبلدانهم. بمعنى قد تكون ردة فعلهم انتقامية تجاه بلدانهم، وبالتالي سيصبح من السهل جداً عملية تجنيدهم من قبل الجماعات الجهادية، ودفعهم باتجاه تنفيذ عمليات إرهابية ضد مجتمعاتهم.

وكان هذا واضحاً خلال لقائنا مع بالطفل (ع . ن) من "قرغيزستان" في مركز أوركيش، بأنه لم يعد يملك شغف الانتماء إلى وطنه الأصلي، بل بات بدلاً من ذلك يرسم وطناً جديداً في مخيلته، يحلم بالسفر إليه في حال خروجه من المركز. حيث لدى سؤالنا للطفل، والذي يبلغ من العمر ١٧ عاماً، إن كان يرغب في العودة إلى بلده بعد الخروج من سوريا؟ كان جوابه كالتالي: "حلمي أن أذهب إلى اليابان بعد خروجي من هذا المكان". معللاً ذلك بأنه: "خلال فترة بقائه في مخيم الهول، وبلوغه سن الثالثة عشر، لم تسمح له أمه بالخروج من الخيمة خشية أن يراه القوات

[٤٤] تصريح لمركز الفرات للدراسات من قبل الرئيسة المشتركة لمخيم الهول جيهان حنّان ٢٩ مارس ٢٠٢٣.

المشرفة على المخيم، وينقلوه إلى مراكز التأهيل، ولأنه كان يشعر بالضيق والملل في الخيمة أمنت له بعض النساء في المخيم والتي سماهن "الأخوات" هاتفاً مع شريحة اتصال بالإنترنت. وخلال تصفحه للشبكة العنكبوتية، ومحاولته التعرف على بلدان العالم من خلال الصور ومقاطع الفيديو، تبين له أن أكثر بلد أعجبه هو اليابان، سواءً بالنظر إلى شكل أبنيتها ومنازلها، أو بالتكنولوجيا المتقدمة لديها، أو أنواع الطعام فيها.[٤٥]

صورة طفل من قرغيزستان موجود في مركز أوركيش

وفيما يخص إشكالية فقدان الأطفال الشعور بالانتماء لأوطانهم، يقول الطبيب النفسي والعصبي الفرنسي "بوريس سيرولنيك": "كلما طالت مدة بقائهم هناك، كلما قلَّ حبهم لفرنسا، ولكن يمكن استعادتهم إذا اعتنينا بهم الآن". وأضاف: "أعتقد أن الرئيس الفرنسي يخشى أن يصبح الأطفال العائدون إرهابيين. لكنني أقول لا، وفكرتي لا تسقط من السماء، فهي تستند إلى ملاحظات علمية.. فإذا اعتنينا بهم في سن مبكرة جدًّا، لن يُصبحوا خطرين"[٤٦].

ثانياً- أطفال أيتام الأبوين

بعد سقوط داعش في معقله الأخير في بلدة "الباغوز "، ترك التنظيم خلفه آلاف الأطفال أيتام الأبوين. وهؤلاء الأطفال هم الأكثر عرضة للمخاطر، فقد وقعوا بين ناري البقاء في المخيمات وإشكالية العودة إلى بلدانهم؛ نظراً لعدم امتلاكهم أي أوراق تثبت هويتهم. فالبعض منهم، تبناهم نساء داعش اللواتي يدعين بأنهم أولادهن دون أي اثبات يذكر، وذلك بهدف إبقاءهم في المخيم

[٤٥] خلال زيارة لمركز أوركيش بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٣.

[٤٦] دراسة بعنوان "الرعاية النفسية لأطفال الجهاديين: الطرق والتحديات" المنشورة في موسوعة تنمية الطفولة المبكرة بتاريخ ١٦ فبراير ٢٠٢١.

والحيلولة دون إعادتهم إلى بلدانهم. لأنه -وبحسب اعتقادهم- أن هؤلاء هم "أطفال الخلافة"، ويجب أن يتربوا على أفكار التنظيم، ويدافعوا يوماً ما عن هذه الخلافة[٤٧].

هذا القسم من الأطفال الذين يجري تبنيهم من قبل نساء داعش، هم بالتأكيد يواجهون مخاطر خضوعهم لتلقين إيديولوجي مكثف، وتدريبات ليكونوا الجيل الجديد لجيش داعش المستقبلي. وخاصة هنالك صعوبة في معرفة أصولهم وجنسياتهم، وبالتالي عدم القدرة على معرفة بلدانهم الأصلية.

أما القسم الآخر ممن لم يجدوا من يتبانهم من نساء داعش، فهؤلاء تجري رعايتهم ضمن أربعة مراكز لرعاية الأطفال الأيتام داخل مخيم الهول، والتي افتتحتها منظمة "اليونيسيف" بالتعاون مع إدارة المخيم. وقد يكون هذا القسم من الأطفال أوفر حظاً للعودة إلى بلدانهم الأصلية، خاصة أن غالبية البلدان التي تقبل بإعادة رعاياها تضع الأولوية لإعادة الأطفال الأيتام. لكنهم قد يكونوا أكثر عرضة للاستغلال من قبل الحكومات، التي يمكن أن تستخدمهم في شتى المجالات: مثل التجنيد كمرتزقة لصالحها واستخدامهم في النزاعات العسكرية أو سهولة تجنيدهم من قبل جماعات جهادية[٤٨].

وما يثير الشكوك واحتمالية حدوث مثل هذه الانتهاكات بحق الأطفال الأيتام الذين تستعيدهم حكوماتهم، هو أن بعض البلدان مثل روسيا الاتحادية استعادت الكثير من الأطفال أيتام الأبوين، دون التدقيق كثيراً في حقيقة جنسياتهم أو أصولهم. حيث تعيد روسيا الاتحادية مثل هؤلاء الاطفال لمجرد ادعاء ممثليها أن هؤلاء الأطفال من رعاياهم وإبرازهم لوثيقة فحص الـ DNA. ولكن وبحسب دائرة العلاقات الخارجية، والتي هي الطرف الثاني الرسمي في عملية تسليم الأطفال، ليست هنالك أية آلية للتحقق أو التأكد من صحة تلك الفحوصات[٤٩].

وحتى تُخلي الإدارة الذاتية مسؤوليتها، وعدم تحملها وزر مصير الأطفال بعد تسليمهم لـ"حكوماتهم"، أعدت وثيقة رسمية خاصة بعملية التسليم، تتضمن جميع المعلومات عن الأطفال الذين يجري تسليمهم، وتعهد من قبل الجهة المستلمة بأنهم سيتولون فيما بعد مسؤولية رعاية الأطفال. ويتم التوقيع على وثيقة التسليم من قبل ممثل الحكومة المستلمة وممثل عن دائرة

[٤٧] هذا ما أكدته إدارية في مركز هلات لتأهيل ورعاية الأطفال بموجب تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات.
[٤٨] تصريح لمركز الفرات للدراسات من قبل الرئيسة المشتركة لمخيم الهول جيهان حنّان ٢٩ مارس ٢٠٢٣.
[٤٩] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل عضو الهيئة الإدارية في دائرة العلاقات الخارجية –قسم الشؤون الإنسانية، خالد إبراهيم ٢٥ مارس ٢٠٢٣

العلاقات الخارجية للإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا، والإعلان عن ذلك في مؤتمر صحفي مشترك بعد الانتهاء من إجراءات التسليم[٥٠].

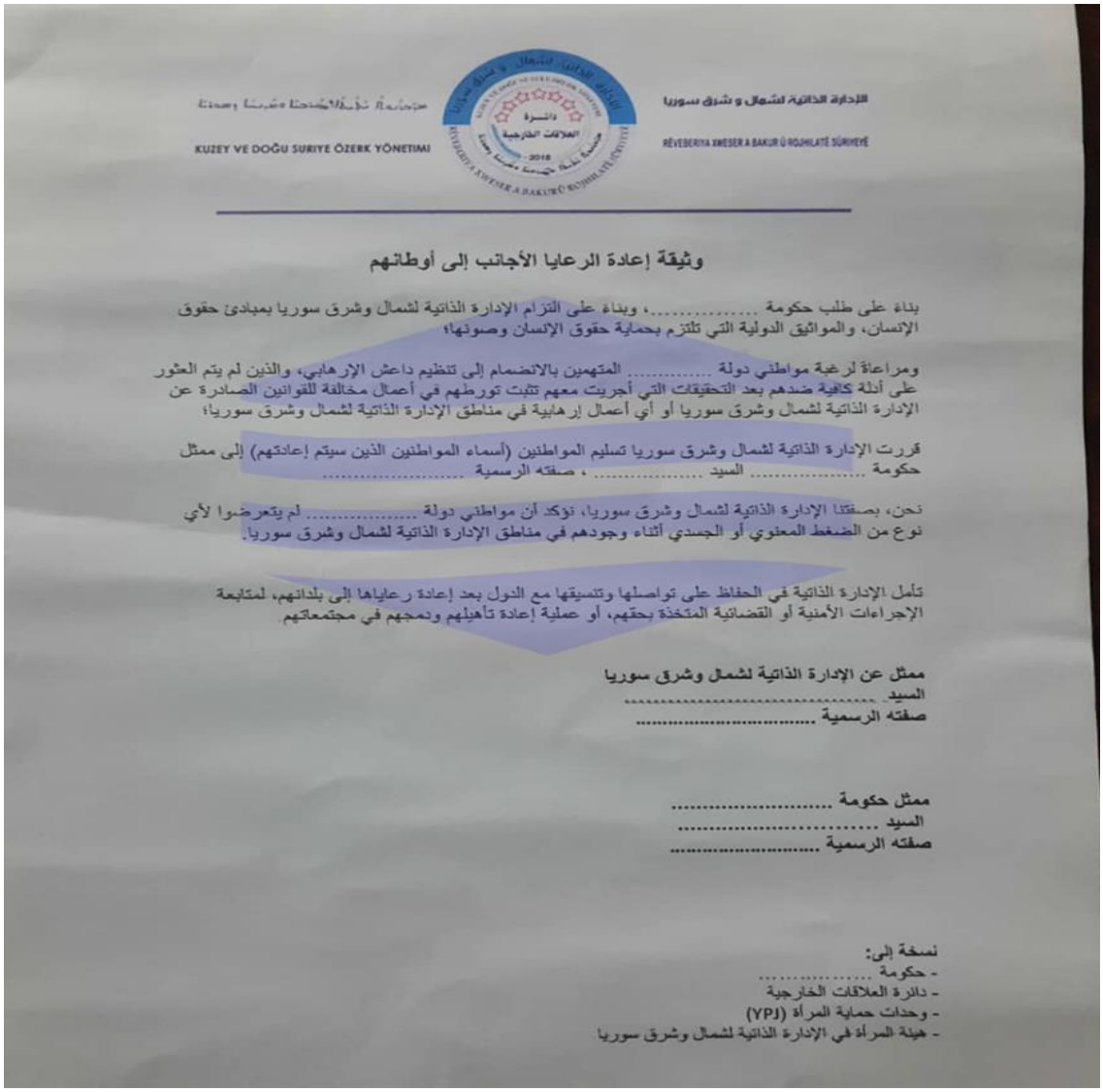

الإدارة الذاتية لشمال و شرق سوريا
دائرة العلاقات الخارجية
RÊVEBERIYA XWESER A BAKUR Û ROJHILATÊ SÛRIYÊ
KUZEY VE DOĞU SURIYE ÖZERK YÖNETIMI

وثيقة إعادة الرعايا الأجانب إلى أوطانهم

بناءً على طلب حكومة .....، وبناءً على التزام الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا بمبادئ حقوق الإنسان، والمواثيق الدولية التي تلتزم بحماية حقوق الإنسان وصونها؛

ومراعاةً لرغبة مواطني دولة ..... المتهمين بالانضمام إلى تنظيم داعش الإرهابي، والذين لم يتم العثور على أدلة كافية ضدهم بعد التحقيقات التي أجريت معهم تثبت تورطهم في أعمال مخالفة للقوانين الصادرة عن الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا أو أي أعمال إرهابية في مناطق الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا؛

قررت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا تسليم المواطنين (أسماء المواطنين الذين سيتم إعادتهم) إلى ممثل حكومة ..... السيد ..... ، صفته الرسمية .....

نحن، بصفتنا الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، نؤكد أن مواطني دولة ..... لم يتعرضوا لأي نوع من الضغط المعنوي أو الجسدي أثناء وجودهم في مناطق الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا.

تأمل الإدارة الذاتية في الحفاظ على تواصلها وتنسيقها مع الدول بعد إعادة رعاياها إلى بلدانهم، لمتابعة الإجراءات الأمنية أو القضائية المتخذة بحقهم، أو عملية إعادة تأهيلهم ودمجهم في مجتمعاتهم.

ممثل عن الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا
السيد .....
صفته الرسمية .....

ممثل حكومة .....
السيد .....
صفته الرسمية .....

نسخة إلى:
- حكومة .....
- دائرة العلاقات الخارجية
- وحدات حماية المرأة (YPJ)
- هيئة المرأة في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا

نسخة عن وثيقة إعادة الرعايا الأجانب التي يتم ملؤها حين استلام الحكومات الأطفال من دائرة العلاقات الخارجية.

ثالثاً- أطفال من جنسيات مختلفة لأم واحدة

تقبل بعض الدول بإعادة رعاياها شريطة توافر إثباتات على أنهم من أبناء البلد الأصليين، أو يحملون جنسيتها. ولكن هنالك إشكاليات كثيرة تعيق عودة الأطفال لبلدانهم. ومن أهم هذه الإشكاليات هي: ولادة بعض نساء داعش عدة أطفال، كل واحد منهم ينتمي لجنسية مختلفة عن آخر، نتيجة زواج تلك المرأة عدة مرات أثناء فترة سيطرة داعش، من عناصر وجنسيات مختلفة.

[٥٠] مكرر.

هذه الإشكالية تعيق إعادة هؤلاء الأطفال إلى بلدانهم، فإن رغبت إحدى الحكومات الأجنبية وخاصة "العربية" يوماً ما في إعادة رعاياها من تلك الأمهات، ستواجه مشكلة أطفالها متعددي الجنسية والأعراق، خاصة في ظل عدم توفر أي ثبوتيات تخص هوية وجنسية هؤلاء الأطفال، فقد تقبل تلك البلدان إعادة الأم ولكنها قد ترفض استقبال أطفالها الذين هم من جنسيات مختلفة غير جنسية الأم.

وتكمن الإشكالية الثانية في وجود أمهات سوريات تزوجن من عدة عناصر لداعش من جنسيات مختلفة، وأنجبت منهم أطفال. بالتالي، في حال رغبت الدول الأجنبية استعادة رعاياها من الأطفال فإنها لن تقبل بالأم السورية مع هؤلاء الأطفال، وسيتوزع أطفالها على عدة بلدان بحسب جنسياتهم، وهذ يعني فصل الأولاد عن أمهاتهم، وبالتالي، خرق واضح لاتفاقيات وقوانين حقوق الطفل.

يُذكر أن العديد من الحكومات الغربية، مثل السويد وألمانيا، أرسلت عام ٢٠٢٠ وفودًا إلى المخيمات في شمال وشرق سوريا، للتحدث إلى النساء ومعرفة ما إذا كانوا يريدون إعادة أبنائهم إلى أوطانهم. حينها، لم توافق أي من النساء اللواتي تحدثت إليهن هذه الوفود، وفضلن إبقاء أطفالهن معهن في المخيمات على إعادة كل واحد منهم إلى بلدانهم الأصلية[٥١].

إن رفض الأم السورية تسليم أطفالها لبلدانهم وإبقائهم لديها، ستجلب معها مشكلة حصول هؤلاء الأطفال على الجنسية السورية، ليس فقط لأنه الحكومة السورية قد تتردد في منحهم الجنسية، إنما في تقبل المجتمع السوري لهؤلاء الأطفال الأجانب الذين هم من تركة تنظيم داعش الإرهابي.

وفي حال رفضت الحكومة السورية منحهم الجنسية، هذا يعني حرمان هؤلاء الأطفال من أحد حقوقهم الأساسية المتمثل في "حق الهوية الخاصة" والذي أقر بها المادة الثامنة من اتفاقية جنيف لحقوق الطفل، والتي تنص على أن: "لكل طفل الحق في أن تكون له هوية خاصة به (سجل رسمي يبين مَنْ هم، ويتضمن أسمائهم وجنسياتهم وصلاتهم العائلية)، ولا يجوز لأي أحد أن يحرم الأطفال من هويتهم، وإذا حُرموا منها يجب على الحكومات مساعدتهم كي يستعيدوها بسرعة".

[٥١] مكرر.

رابعاً- تقاعس الدول العربية في استعادة رعاياها

إن العديد من الدول الأوروبية وآسيا الوسطى استعادت بعض رعاياها من الأطفال الأيتام وبعض الأطفال مع أمهاتهم مثل: (فرنسا، ألمانيا، السويد، الدنمارك، بلجيكا، نرويج، فنلندا، أوكرانيا، سويسرا، أوزباكستان، قيرغستان، طاجكستان، كازاخستان). وكما تُعتبر روسيا الاتحادية من أكثر الدول التي استعادت رعاياها من الأطفال وخاصة الأيتام. لكن، رغم أن رعايا الدول العربية هم الأغلبية، خاصة في قسم "المهاجرات" في مخيم الهول، لم تبادر أي دولة عربية لاستعادتها، عدا العراق، والسودان التي استعادت مؤخراً امرأتين و٣ أطفال فقط في مارس/ آذار ٢٠٢٣.

فيما كانت كل من "الجزائر والمغرب والسعودية" قد وعدت بأنها ستستعيد رعاياها عن طريق التحالف الدولي، أو استلامهم عن طريق وسيط ثالث، لتجنب التعامل المباشر مع الإدارة الذاتية، إلا أنها حتى الآن لم تخطو أي خطوة[٥٢].

ويمكن إرجاع تقاعس أو تخلف الدول العربية في استعادة رعاياها من مخيمات اللجوء ومراكز التأهيل والرعاية في شمال وشرق سوريا إلى سببين رئيسيين:

- الأول يتمثل في عدم وجود علاقات دبلوماسية بين بعض الدول العربية والإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا، لأن غالبية الدول العربية لا ترغب في التعامل الرسمي مع الإدارة الذاتية، بوصفها إدارة غير معترف بها، مما يصعب على الأخيرة التواصل مع الحكومات العربية، وإجراء المفاوضات معها لاستعادة رعاياها.
- الثاني يكمن في تخوّف الدول العربية من عودة هؤلاء الأفراد، وتأثيرهم على المجتمعات العربية والتحريض الذي يمكن أن يمارسوه ضد هذه الدول ومواطنيها، حيث من الممكن عودة هؤلاء الأفراد إلى نشاط داعش داخل بلدانهم.

خامساً- بقاء الأطفال مع الأمهات المتطرفات

نتيجة لزيادة نسبة التطرف والجرائم المرتكبة في مخيم الهول، ازدادت الدعوات -خاصة المحلية- لإخراج الأطفال من هذا المكان. ولكن فصل الطفل عن أمه أثار الكثير من الجدل والمعارضة، خاصة من قبل المنظمات الدولية التي تعنى بحقوق الطفل.

وفيما يتفق خبراء "الصّحة العقلية ومكافحة الراديكالية" على أنّ دعم المجتمع والأسرة هو من أهم العوامل في عمليّة إعادة الإدماج، فإن البعض حذّر من أنّ أساليب التّلقين المتطورة التي

[٥٢] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل عضو الهيئة الإدارية في دائرة العلاقات الخارجية –قسم الشؤون الإنسانية، خالد إبراهيم ٢٥ مارس ٢٠٢٣

تتبعها نساء داعش، تحتاج مواجهتها إلى برامج إعادة إدماج متطوّرة بالقدر نفسه. بالإضافة إلى مخاطر التلقين العقائدي التي تبثها نساء داعش في عقول الأطفال، فإن عدداً كبيراً من نساء داعش المقاتلات، والمنضويات سابقاً ضمن "كتائب داعش" مثل "كتيبة الخنساء"، يسعين داخل المخيم إلى إجبار الأطفال على الزواج ببعضهنّ لأجل زيادة نسل داعش.

في الواقع تُعتبَر نساء المخيم في قسم "المهاجرات" من بين أكثر المدافعات والمروّجات بحماسة لداعش، والأكثر عنفاً. وهناك الكثيرات منهن لا يرغبن بالعودة إلى بلدانهن؛ لأن بعضهن لا يرغبن بالعيش في دولة غير مسلمة، وأخريات لازلن يحلمن في عودة "خلافة داعش"، خاصة اللواتي تركن بلدانهن وانضممن بملء إرادتهن إلى داعش، وتزوجن من مقاتلي وقيادات داعش. فهذه الفئة من نساء داعش تُعتبر الأكثر تمسكاً بحلم عودة "الخلافة". هذا ما لاحظناه أثناء لقائنا في مخيم روج بالمرأة الإيطالية- التونسية "صونيا ألخديري"، التي كانت قد انتقلت في سبتمبر/أيلول ٢٠٢٣ من مخيم الهول إلى مخيم روج. وحين سألناها عن كيفية انضمامها لتنظيم داعش، قالت بأنها "كانت تدرس في كلية السياحة في إيطاليا، وتعرفت عبر الانترنت "الفيسبوك" على شخص تونسي من عناصر داعش، كان يقيم في تركيا، ثم تركت العمل في مجال السياحة والتزمت بالدين، ووضعت الحجاب بعد التعرف عليه، ثم سافرت من إيطاليا إلى تركيا دون علم أهلها والتقت به وتزوجا وانتقلا إلى سوريا، وأنجبت منه طفلين قبل أن يُقتل الزوج في إحدى المعارك بشمال شرق سوريا"[٥٣].

ولدى سؤالها عن كيفية تورطها مع داعش، وهي امرأة متعلمة ومتخصصة في مجال السياحة، واختصاصها هذا يحتم عليها الانفتاح على العالم الخارجي والاحتكاك بأجناس وثقافات مختلفة؟ فأجابت بأنها "ترغب بالعيش ضمن دولة الخلافة الإسلامية، واتفقت مع زوجها للانتقال والعيش في كنف "الدولة الإسلامية" في سوريا". كما بدأت بمدح دولة "الخلافة"، وأنها "كانت تطبق الشريعة الإسلامية". وهذا مؤشر على أنها لازالت مؤمنة بفكر داعش وبإحياء "دولة الخلافة"، ولن تتوانى عن نقل هذه الأفكار إلى أطفالها[٥٤].

وحول أسباب رفض بعض النساء الخروج من المخيم، تقول "جو بيكر"، مديرة المناصرة لحقوق الطفل في هيومن رايتس ووتش (HRW) أن هناك عدة أسباب وراء ذلك ومنها: "لا ترغب بعض النساء في بعض الحالات في العيش في دولة غير مسلمة، أو ربما يخشين من تعرضهن للمحاكمة أو التمييز. وفي حالات أخرى، قد يكون الزوج في السجن، لذا ترغب الزوجة في

[٥٣] لقاء خاص خلال جولة ميدانية لمخيم روج بتاريخ ٢٠ إبريل ٢٠٢٣.
[٥٤] مكرر.

انتظار الإفراج عنه لأنها لا تريد اتخاذ مثل هذا القرار بدون استشارته. وبشكل آخر، قد لا يصب ذلك بالضرورة في مصلحة الطفل"[٥٥].

كما تفضل النساء العربيات من مزدوجات الجنسية العودة إلى البلد العربي الذي تنتمي إليه، على العودة إلى البلد الأوروبي الذي حصلت على جنسيته. وذلك لسبب وحيد وهو "أن قوانين الدول الأوروبية تعتبر المرأة البالغة التي ذهبت مع زوجها وانضموا إلى داعش متساويين في الجرم، لأنهم يعتبرون المرأة كيان مستقل بذاته ولديها حرية اتخاذ قرارها؛ لذا تحاكم بموجب ذلك. أما في الدول العربية والإسلامية فيمكن للنساء التحايل على المحاكم عبر الادعاء بأنهن أجبرن من قبل أزواجهن على الذهاب إلى سوريا والعراق، وذلك باعتبار أن الدول العربية والاسلامية تعتبر أن الرجل هو صاحب الرأي في الأسرة وأن "الرجال قوامون على النساء"[٥٦]. وبالتالي يتحمل الرجل المسؤولية الأكبر ويمكن بهذه الطريقة للمرأة أن تكون عقوبتها مخففة، أو حتى بلا ذنب.

هذه المخاطر التي تشكلها النساء على الأطفال، دفعت إدارة المخيم إلى السعي لإنقاذ الأطفال من تلك المخاطر التي تشكلها الأمهات من نساء داعش على أطفالهن وباقي الأطفال في المخيم، وذلك عبر نقلهم إلى مراكز التأهيل، ورغم أن الهدف من هذا الفصل هو حماية الطفل من الفكر التطرفي والاستغلال الجنسي، إلا أنه صدر تقرير لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في يناير/كانون الثاني ٢٠٢٣ يصف فيه نقل الأطفال من مخيم الهول إلى مراكز التأهيل بأنه "خطف الأطفال من عوائلهم ونقلهم إلى جهات مجهولة".

وعليه، رد مكتب شؤون العدل والإصلاح في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا على تلك الاتهامات عبر إصدار بيان قال فيه: "نعتبر هذه الادعاءات غير صحيحة بالمطلق لكون جميع مراكز الاحتجاز ومراكز التأهيل كانت ومازالت أبوابها مفتوحة أمام الكثير من المنظمات، ونعمل وفق آليات شفافة ومبادئ قانونية تحمي حقوق الكبير والصغير. وندعو - في هذا السياق - مجلس حقوق الانسان لزيارة تلك المراكز، بالإضافة إلى ذلك، فإننا نؤكد عدم وجود أماكن مجهولة لدينا لحجز الاطفال أو وضعهم في السجون"[٥٧].

وفي المقابل يرى حقوقيون أن فصل هؤلاء الأطفال عن أمهاتهم لا يتعارض مع المادة التاسعة من اتفاقية جنيف لحقوق الطفل، التي تنص على "الحفاظ على الأسرة معاً"، و"ينبغي عدم فصل

---

[٥٥] تقرير لموقع DW الألمانية بعنوان " مخيم الهول: ألم يحن الوقت لإخراج الأطفال حتى دون أمهاتهم؟" آخر زيارة ٢٠ يونيو ٢٠٢٣ https://www.dw.com/ar/

[٥٦] هذا ما أفاد به طفل فرنسي من أصل تونسي في مركز أوركيش لمركز الفرات، والذي سمع، بحسب ما أفاد به، هذا الحديث من أمه وبعض النساء المغربيات في مخيم الهول.

[٥٧] مقتبس من بيان مكتب شؤون العدل والإصلاح في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا المنشور بتاريخ ١٨ فبراير ٢٠٢٣.

الأطفال عن والديهم، إلا إذا كانوا لا يحصلون على رعاية مناسبة وكافية منهم (مثلاً، إذا كان الوالدان يؤذيان الطفل، أو لا يعتنيان به).

إذاً، بقاء هؤلاء الأطفال مع أمهات متطرفات، يشكل خطراً على الطفل، وبالتالي يجوز بموجب اتفاقية جنيف، فصل الأطفال عن أمهاتهم باعتبارهن يؤذين الأطفال بفكرهن المتطرف. يقول "دانييل كوهلر" مدير المعهد الألماني للدراسات الراديكالية في شتوتغارت: "إنّ الجماعة المتشدّدة قامت بغسل أدمغة الأطفال وحشوها بتعاليم تنظر إلى القِيَم الغربيّة على أنّها شريرة، وجعلتهم ينخرطون في تدريبات قتاليّة، وفي بعض الحالات أجبرتهم على حمل الأسلحة وارتكاب أعمال عنف، مما هيأ الفرصة أمام زوجات قيادات "داعش" ليقمن بدور بديل للمعلمات التابعات للأمم المتحدة في المخيمات، ويقمن بدورهن الأخطر في عملية الغرس الثقافي لمفاهيم الإرهاب داخل عقول الأطفال، معتمدات بذلك على تكرار بعض المصطلحات التي تحض على العنف والإرهاب وإلصاقها بعملية الجهاد وتكفير كل شخص مختلف في العقيدة وحتى الزي"[٥٨].

وفي سبيل حماية الطفل وإبعاده عن مخاطر الفكر المتطرف والتجنيد المستقبلي، كان لابد من فصل الطفل عن أمه المتطرفة. لذا، أخذت الإدارة الذاتية على عاتقها مسؤولية رعاية هذا الطفل وتنشئته، حيث وبموجب نص المادة التاسعة (البند د) من القانون رقم ٧ لعام ٢٠٢٢، تكفل الإدارة الذاتية أولوية الحفاظ على حياة الطفل وتنشئته تنشئة سليمة آمنة بعيدة عن النزاعات المسلحة، وضمان عدم انخراطه وتجنيده في الأعمال الحربية والعسكرية، وتكفل احترام حقوقه في حالات الطوارئ والكوارث والحروب والنزاعات المسلحة، وتتخذ كافة التدابير لمتابعة ومعاقبة كل من يرتكب في حق الطفل جريمة من جرائم الحرب والإبادة الجماعية أو من الجرائم ضد الإنسانية أو التجنيد عن طريق الإجبار أو الترغيب أو الترهيب وتعد بمثابة الاعتداء المباشر على الطفل.

وما يؤكد تشبع بعض الأطفال، خاصة ممن هم بعمر ٨ أعوام وما فوق، بالفكر المتطرف وبأن ميولهم إجرامية نتيجة التلقين من قبل أمهاتهم، ما لاحظته المشرفات على أطفال داعش في مركز هلات من تصرفاتهم، وما يعبرون عنه عبر رسوماتهم. حيث أكدت المشرفات أنه حين يستقبل المركز الأطفال لأول مرة بعد فصلهم عن أمهاتهم المسجونات، يكون تصرّف الأطفال عدائياً

[٥٨] تقرير في صحيفة العرب اللندنية بعنوان " أطفال داعش: ضحايا منسيون يشكلون الجيل الجديد من إرهابيي المستقبل" آخر زيارة ٢٠ يونيو ٢٠٢٣ https://alarab.co.uk/

تجاه المشرفات، ويرفضون الاستماع إلى الأغاني والموسيقى، ويغلقون آذانهم باعتبار الموسيقى "حرام"، كما يمتنعون عن مشاهدة التلفاز[٥٩].

إلى جانب ذلك، فإن دروس الرسم تكشف ما هو أخطر لدى هؤلاء الأطفال، حيث بعد بذل المشرفات جهود كبيرة لإقناع الأطفال على الرسم، عبروا عما يدور في مخيلتهم عن طريق الرسومات، وبعضهم رسم مقاتلاً لداعش يحمل علم التنظيم بيد والمسدس في اليد الأخرى، يصوبه على رأس شخص يجثي على ركبتيه أمامه. ورسم آخرون سيفاً ورؤوس مقطوعة، بالإضافة إلى رسم خيمة ومن فوقها طائرة مروحية في إشارة إلى طائرات التحالف، وبجانب الخيمة رسم شخصاً على هيئة متوحشة يمتلك أسنان كبيرة وقرون وينزل الدماء من فمه، ما يشير إلى نظرتهم إلى القوات التي تحمي مخيم الهول[٦٠].

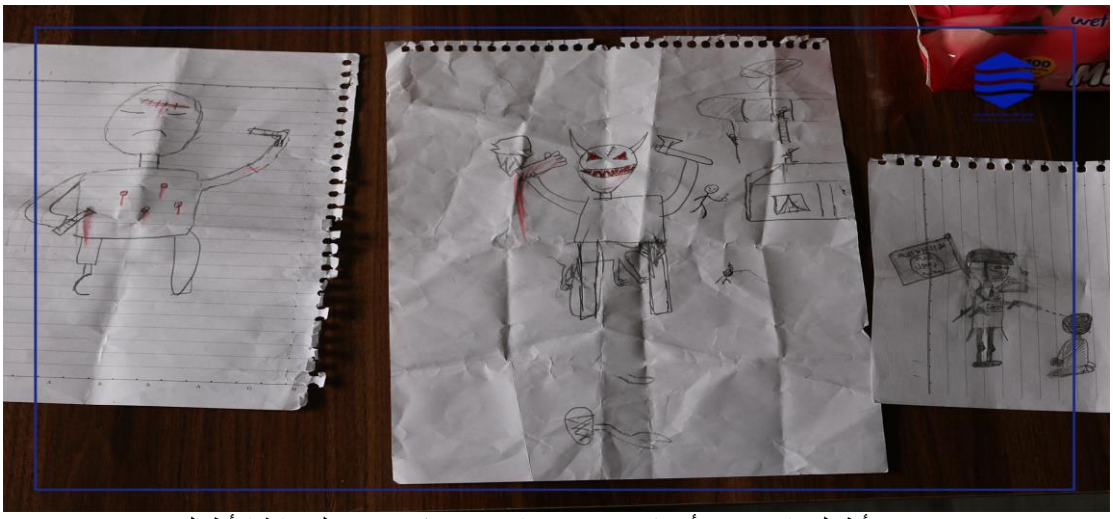

رسوم أطفال داعش من أعمار ٨ ـ ١٣ عام، في مركز هلات لرعاية الأطفال

وأكد القائمون على إدارة مركز هلات على أنهم، وبعد بذل جهود كبيرة في التأهيل، تمكنوا من إحداث بعض التغيير في فكر هؤلاء الأطفال وسلوكياتهم. حيث بات الأطفال يفرحون بسماع الموسيقا ويشاهدون بشغف أفلام الكرتون على التلفاز. ومع ذلك، يلاحظ أنه حين يعود الأطفال مساءً إلى أمهاتهم المعتقلات في السجون، ويأتون في صباح اليوم التالي إلى المركز قد تغيرت تصرفاتهم ويكررون مرة أخرى كلمات مثل أن الموسيقا "حرام" والتلفزيون والرسم "حرام"، بحسب إدارة المركز. وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على مدى تأثر هؤلاء الأطفال بأمهاتهم وما يتلقونه منهن!

[٥٩] تصريح خاص لمركز الفرات للدراسات من قبل إدارية في مركز هلات لتأهيل ورعاية الأطفال بتاريخ ٢٥ مايو ٢٠٢٣.
[٦٠] جولة ميدانية من قبل مركز الفرات للدراسات لمركز هلات لتأهيل ورعاية الأطفال ٢٥ مايو ٢٠٢٣

وكما يلاحظ، بحسب إدارة مركز هلات، أن الأطفال من عمر ٣ - ٧ أعوام، يسهل تأهيلهم ويتفاعلون كثيراً مع الدروس والمشرفات، أما من هم بعمر ٨ سنوات وما فوق يصعب تأهيلهم، ويحتاج الأمر إلى جهود أكبر وبرامج تأهيلية متطورة، والأهم من ذلك، إبعادهم عن أمهاتهم المتطرفات لحين انتهاء التأهيل، لأن بقاء الأطفال بجانب الأمهات يخلق صراعاً لدى الطفل ما بين ما يتعلمه في مراكز التأهيل، وبين ما يتم تلقينه من أفكار متطرفة من قبل الأمهات.

وتؤكد المشرفات على أنه تأثير الأمهات يكون واضحاً على الأطفال الإناث بشكل أكبر. فخلال زيارتنا كفريق مركز الفرات للدراسات إلى مركز هلات، ودخولنا إلى أحد الصفوف التي تضم أطفال، ممن تتراوح أعمارهم بين ٨ - ١٣ عام، ومحاولتنا التقاط صور لهم في الصف، فإن الفتيات سارعن للاختباء تحت المقاعد، بينما أدار بعض الأطفال الذكور وجوههم عنا، وآخرون قالوا "لا تصوروا الفتيات". وهذا دليل عما يصلهم من تعاليم وأفكار تنظيم داعش بواسطة أمهاتهم خلال اللقاء بهن[٦١].

أطفال داعش في مركز هلات، حيث يظهر فيها الفتيات يختبئن تحت المقاعد حين التقاط الصورة

[٦١] مكرر.

الخاتمة

تعرضنا في هذا البحث لدراسة قضية أطفال داعش في مخيمات اللجوء ومراكز التأهيل والرعاية، وما يثيرها هذه القضية من مخاطر وإشكاليات اجتماعية وقانونية وسياسية. تناولنا بداية تواجد أطفال داعش مع أمهاتهم في مخيمات اللجوء والنزوح الداخلي، وما قد يشكل هذه المخيمات من بيئة مناسبة لنمو الفكر المتطرف، ومدى مساهمة مراكز التأهيل والرعاية من الحد أو التخفيف من مخاطر أطفال داعش. بعد ذلك انتقلنا إلى إبراز أهم مخاطر وإشكاليات قضية أطفال داعش الحالية والمستقبلية. وعلى ضوء هذه الدراسة توصلنا إلى عدة نتائج وتوصيات.

أولاً: النتائج

- يُلاحظ أن مخيمي الهول وروج في شمال وشرق سوريا لهما طبيعة استثنائية، لا تشبه غيرهما من مخيمات اللجوء والنزوح الداخلي. حيث يجمع هذان المخيمان بين لاجئين عراقيين ونازحين سوريين الذين هربوا أصلاً من جرائم داعش وجماعات مسلحة أخرى من جهة، وعوائل داعش من نساء وأطفال، انتقلوا لمخيم الهول (وروج فيما بعد) بعد سقوط آخر معقل لتنظيم داعش الإرهابي في بلدة الباغوز من جهة أخرى. وهذه الطبيعة الخاصة يمكن أن تؤدي إلى إبعاد هذين المخيمين عن الطابع المدني والإنساني للمخيمات، وتقربه من ظاهرة "العسكرة"، نظراً لتواجد أشخاص فيه كانوا ولازالوا من أشد المؤمنين والملتزمين بفكر "خلافة داعش"، ويعملون بشتى الوسائل على غرس هذا الفكر المتطرف في رؤوس أطفالهم؛ إيماناً منهم أنها "باقية وتتمدد".
- نظراً لكبر حجمه، والعدد الهائل لقاطني مخيم الهول، ووقوعه في منطقة نائية تكثر فيها خلايا تنظيم داعش، وصعوبة الإدارة والسيطرة الأمنية عليه (خاصة قسم المهاجرات)، يشكل هذا المخيم بالذات بيئة مناسبة لنمو الفكر المتطرف الداعشي، وتمرير داعش لاستراتيجيته في إعداد جيش جديد من تركته (أشبال الخلافة).

قامت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا - وتخفيفاً للضغط على مخيم الهول - بنقل قسم من نساء داعش وأطفالهم إلى مخيم روج في أقصى شمال شرق سوريا. صحيح أن هذا المخيم الأخير يعتبر الأفضل نسبياً مقارنة مع مخيم الهول، سواءً من جهة الإدارة أو السيطرة الأمنية، ولكن يبقى هنالك نقاط ضعف أو ثغرات يمكن لتنظيم داعش ونسائه استغلالها لتمرير فكره المتطرف واستراتيجيته في إحياء "دولة الخلافة". وتتلخص هذه الثغرات على وجه الخصوص: بسهولة الاحتكاك بين نساء داعش وأطفالهن والعائلات

العراقية والسورية وأطفالهم (في المدرسة، السوق المشترك...الخ)، وسهولة إيصال موبايل متصل بالإنترنت لنساء داعش.

- انسجاماً مع الاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية الطفولة (خاصة اتفاقية جنيف)، وتطبيقاً لقانونها الخاص بحقوق الطفل رقم ٧ لعام ٢٠٢٢، قامت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا بنقل عدد من أطفال داعش من مخيمي الهول وروج وممن يتجاوز أعمارهم ١٢ عاماً، إلى مراكز (هوري وأوركيش) أُنشأت خصيصا لتأهيلهم ورعايتهم. ولكن يؤخذ على هذه المركز حاجتها إلى خبرات متخصصة في مجالات الدعم النفسي والصحة العقلية والتربية والتعليم، وحاجتها لتضافر عدة جهود محلية ودولية (منظمات والمجتمع الدولي). ويبدو أن نقل الطفل بعد تجاوزه لسن ١٢ عاماً لمراكز التأهيل والرعاية يعتبر متأخر جداً، لأن ما يتم غرسه في عقل الطفل من أفكار متطرفة وتعاليم داعش الإرهابي عن طريق أمه في المخيم يصعب فيما بعد إزالة هذه الأفكار من رأسه من خلال برامج التأهيل والرعاية.

كما إن إنشاء مركز هلات من قبل التحالف الدولي لمحاربة داعش، وتحت إشراف هيئة المرأة، لا يحقق الهدف المنشود من إنشائه، لأن ما يتعلمه الطفل صباحاً في هذا المركز تمحوه أمه المتطرفة في المساء، خلال لقائه بها بعد الانتهاء من دوامه اليومي في المركز.

- تركة داعش لا تقل أهمية وخطورة عن تنظيم داعش نفسه، وكما أحتاج العالم إلى تشكيل تحالف دولي لمحاربة تنظيم داعش والقضاء عليه عسكرياً وجغرافياً، فإن قضية الأطفال كذلك تحتاج إلى تضافر جهود عدة جهات محلية ودولية لإيجاد حلول جذرية ومستدامة لها، ليس فقط حماية للمنطقة وشعوبها، إنما لشعوب العالم أجمع حالياً ومستقبلاً. حيث أن بقاء أطفال داعش لفترة طويلة في المخيمات ومراكز التأهيل والرعاية يثير الكثير من المخاطر والإشكاليات المختلفة. ويساعد تنظيم داعش على تمرير استراتيجيته في إحياء جيشه الجديد من الأطفال، كما يزيد من تعرض الأطفال للانتهاكات بحقهم كالاستغلال الجنسي والتلقين الأيديولوجي وغرس المفاهيم المتطرفة بعقله، وسهولة تجنيده مستقبلاً. وهذه المخاطر والإشكاليات التي تحيط بالأطفال يتحمل مسؤوليتها بلدانهم الأصلية وحكوماتهم، وخاصة الدول العربية التي تتحاشى استعادة رعاياها من عوائل داعش.
- التحديات التي تقف أمام استعادة الدول لرعاياها، هي كثيرة وأهمها عدم الاعتراف السياسي بالإدارة الذاتية وتفادي دولاً - خاصة العربية - التعامل المباشر مع الإدارة الذاتية.

ثانياً: التوصيات

- العمل على الحفاظ على الطابع المدني والإنساني لمخيم الهول، وإخراج عوائل داعش من بين اللاجئين العراقيين والنازحين السوريين، وتفكيك قسم "المهاجرات"، وذلك بنقلهم إلى مركز إيواء خاص بهم، وفقاً للمعايير الدولية، يساعد في السيطرة الإدارية والأمنية عليه، ويحد من مخاطر نساء وأطفال داعش. كما يجب العمل على سد الثغرات في مخيم روج، والتي يستفيد منها تنظيم داعش، وذلك بتأسيس مدرسة خاصة بأطفال داعش، وسوق تجاري خاص بعوائل التنظيم، لمنع احتكاك أطفال داعش بالأطفال العراقيين والسوريين، والفصل بين عائلات داعش والعائلات المدنية العراقية اللاجئة والسورية النازحة.
- نقل الأطفال من مخيمي الهول وروج إلى مراكز التأهيل والرعاية اعتباراً من سن السادسة، لإبعادهم في وقت مبكر عن الأم المتطرفة، ولتسهيل عملية تأهيلهم ورعايتهم ودمجهم في المجتمع الطبيعي. ورفد مراكز التأهيل والرعاية بالخبرات اللازمة المتخصصة في مجالات الدعم النفسي والصحة العقلية والتربية والتعليم. وإعداد برامج تأهيلية متطورة مشتركة بين عدة جهات محلية ودولية تعنى بحقوق وحماية الأطفال.
- الدعوة الحثيثة والمستمرة للمجتمع الدولي والمنظمات الدولية بتحمل مسؤولياتها تجاه قضية أطفال داعش، ودولهم الأصلية في استعادة رعاياها من نساء وأطفال داعش.
- إضافةً إلى ذلك، يمكن أن يعزز الاعتراف السياسي بالإدارة الذاتية لشمال شرق سوريا من موقعها في إثارة قضية أطفال داعش إقليمياً ودولياً، ويساهم في إعادة هؤلاء الأطفال إلى دولهم الأصلية.